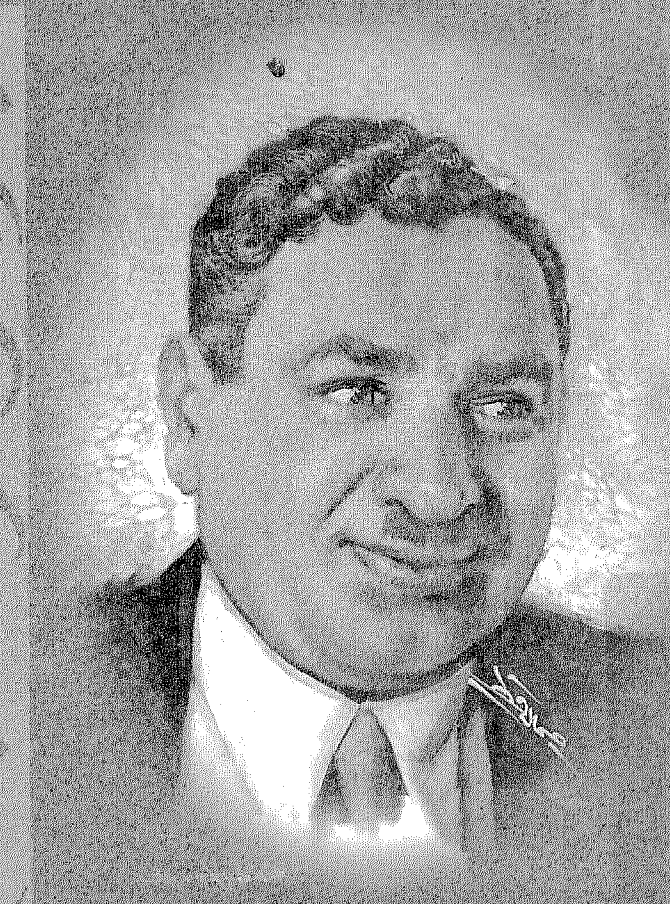
مكتبة الأسرة الروائع



ـمل ماكتب

ـاعر الجندول

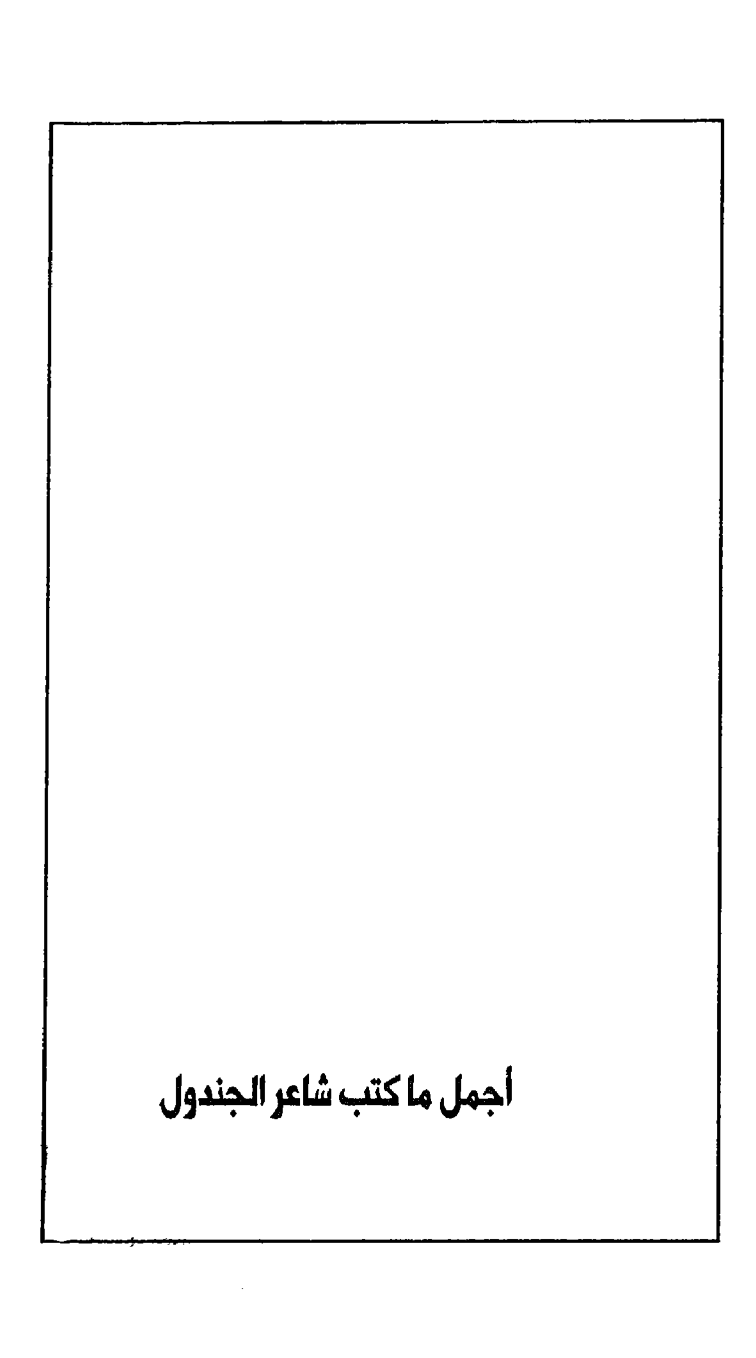
علي
ـحمود طه

الهيئة المصرية
العامة للكتاب

اهداءات ٢٠٠٢

الشاعر/ عبد العليم القباني

الإسكندرية



أجمل ما كتب شاعر الجندول



مهرجان القراءة للجميع ٩٦

مكتبة الأسرة

برعاية السيدة سوزان مبارك

(روائع الأدب العربى)

أجمل ما كتب شاعر الجندول
على محمود طه

لوحة الغلاف
للفنان جمال قطب

تصميم الغلاف
الانجاز الطباعى والفنى
محمود الهندى

المشرف العام
د. سمير سرحان

الجهات المشتركة:
جمعية الرعاية المتكاملة المركزية
وزارة الثقافة
وزارة الإعلام
وزارة التعليم
وزارة الحكم المحلى
المجلس الأعلى للشباب والرياضة
التنفيذ: هيئة الكتاب

أجمل ما كتب شاعر

الجندول

على محمود طه

اختيار وتقديم

د. سمير سرحان   د. محمد عنانى

على سبيل التقديم...

لأن المعرفة أهم من الثروة وأهم من القوة فى عالمنا المعاصر وهى الركيزة الأساسية فى بناء المجتمعات لمواكبة عصر المعلومات.. من هنا كان مهرجان القراءة للجميع دلالة على الرغبة الطموحة فى تنمية عالم القراءة لدى الأسرة المصرية أطفالاً وشباباً ورجالاً ونساءً..

وكان صدور مكتبة الأسرة ضمن مهرجان القراءة للجميع منذ عام ١٩٩٤ إضافة بالغة الأهمية لهذا المهرجان كأضخم مشروع نشر لروائع الأدب العربى من أعمال فكرية وإبداعية وأيضاً تراث الإنسانية الذى شكل مسيرة الحضارة الإنسانية مما يعتبر مواجهة حقيقية للأفكار المدمرة.

هكذا كانت مكتبة الأسرة نافذة مضيئة لشباب هذه الأمة على منافذ الثقافة الحقيقية فى الشرق والغرب وعلى ما أنتجته عبقرية هذه الأمة عبر مسيرتها التنويرية والحضارية..

إن مئات العناوين وملايين النسخ من أهم منابع الفكر والثقافة والإبداع التى تطرحها مكتبة الأسرة فى الأسواق بأسعار رمزية أثبتت التجربة أن الأيدى تتخاطفها وتنتظرها فى منافذ البيع ولدى باعة الصحف لهو مظهر حضارى رائع يشهد للمواطن المصرى بالجدية اللازمة والرغبة الأكيدة فى الإسهام فى ركب الحضارة الإنسانية على أن يأخذ مكانه اللائق بين الأمم فى عالم أصبحت السيادة فيه لمن يملك المعرفة وليس لمن يملك القوة.

د. سمير سرحان

تقديـــــم

لا يكاد على محمود طه يحتاج إلى تقديم ، فالجيل الذى انتمى إليه يألف شعره الرقيق وحبه للجمال والطبيعة والحرية ، ويكاد يرى فيه مثلاً لكل ما كنا نصبو إليه صغاراً حين نذكر فنون أوربا وطبيعتها الخلابة ، والجيل التالى لنا يعرفه من قصائده التى سمعها من محمد عبد الوهاب مثل الجندول وكليوباترة ، ونحن وهم لا نملك إلا الشجن عندما نسمع قصيدته الأخرى التى يغنيها عبد الوهاب أيضاً «أخى جاوز الظالمون المدى ...» والتى تتصدر هذه المجموعة .

ولمن لا يعرفون الكثير عن صائغ هذه الدرر البديعة ، نقدم لمحة موجزة عن حياته وشعره ، فالأصل هو النص الشعرى ، وهذا هو لب الكتاب . ولد على محمود طه فى المنصورة عام ١٩٠٢ وتعلم أولاً فى الكتّاب ثم دخل المدرسة الابتدائية ، وبعد أن نال شهادتها ، وُلد عنده – كما يقول شوقى ضيف **(الأدب العربى المعاصر فى مصر)** «شغف بالعلوم التصنيعية ، فرفض الإلتحاق بالمدرسة الثانوية وآثر الإلتحاق بمدرسة الفنون التطبيقية يدرس فيها الهندسة . وفى سنة ١٩٢٤ تخرج حاملاً شهادة تؤهله لمزاولة مهنة هندسة المبانى» .

وقد أقبل على الوظيفة الحكومية لأنها كانت توفر له الوقت الكافى للتأمل والقراءة ، فعمل أولاً موظفاً بسيطاً بهندسة المبانى فى بلدته المنصورة ، وبدأ ينشر قصائده ويلفت الأنظار

إليه ، ولم يبلغ الخامسة والعشرين حتى كان قد تمكن من نشر بعض أشعاره فى جريدة السياسة الأسبوعية ، وساهمت قصائده تلك مع ما كانت الجريدة تنشره فى إذكاء الروح الرومانسية التى كانت تملأ الجو آنذاك ، وسرعان ما أصبح علماً من أعلام مدرسة أبولو التى أرست أسس الرومانسية فى الشعر العربى ، والطريف أنه كان يحقق المثل الأعلى الرومانسى الذى كان يريده أصحاب مدرسة الديوان (العقاد وشكرى والمازنى) وهو الصدق - وتحديداً ما كان العقاد ينعى فقدانه فى شعر شوقى أى عدم إفصاح الشعر عن الشاعر .

فكان على محمود طه فى حياته مثالاً لما يقوله فى شعره ، وهذه هى شهادة أحمد حسن الزيات :

كان شاباً منضور الطلعة ، مسجور العاطفة ، مسحور المخيلة ، لايبصر غير الجمال ، ولا ينشد غير الحب ، ولا يطلب غير اللذة ، ولا يحسب الوجود إلا قصيدة من الغزل السماوى ينشدها الدهر ويرقص عليها الفلك .

«كان كالفراشة الجميلة الهائمة فى الحقول تحوم على الزهر، وترف على الماء ، وتخفق على العشب ، وتسقط على النور ، لا تكاد تعرف لها بغية غير السبوح ، ولا لذة إلا التنقل . ثم تتبعته بعد ذلك فى أطواره وآثاره ، فإذا الفراشة الهائمة على أرباض المنصورة تصبح الملاح التائه فى خضم الحياة ، والأرواح الشاردة فى آفاق الوجود ، والأرواح والأشباح فى أطباق اللانهاية وإذا الشاعر الناشئ يغدو الشاعر المحلق تارة

بجناح الملك ، وتارة بجناح الشيطان ، يشق الغيب ويقتحم الأثير ، ويصل السماء بالأرض ، ويجمع الملائكة والشياطين بالناس» .

ويجدر بنا أن نشير هنا إلى الدقة العلمية التى تحراها طه حسين عندما يتحدث عن الشاعر فى **حديث الأربعاء** فهو يتحدث عن شخصية فنية ، بمعنى القناع الذى يلبسه الشاعر فى شعره ويخفى وراءه وجهه الحقيقى ، مهما يكن من شبه بينهما ، فالشعر الذى يقوله الشاعر ليس الشاعر ، ولذلك فطه حسين سباق فى هذا المجال النقدى الحديث .

على أى حال ، ظل على محمود طه يتقلب فى المناصب الحكومية ، فانتقل إلى وظيفة مدير المعرض الخاص بوزارة التجارة ، ثم استقر نهائياً فى القاهرة مديراً لمكتب الوزير ، وبعدها التحق بسكرتارية مجلس النواب ، مما هيأ له التنقل فى القاهرة التى كانت ما تزال روضاً أريضاً ، ومنها كان يسافر إلى خارج مصر بانتظام ويتقن عدة لغات أوربية فى سفراته تلك، ويخرج الديوان بعد الديوان ، ولكن الوظيفة الحكومية التى قربته من السياسة تتنكر له فيستعيض عنها بقرض الشعر ، وعندما يعين آخر الأمر وكيلاً لدار الكتب عام ١٩٤٩ ويبدأفى التفرغ للنظم ، يعاجله القدر المحتوم فيرحل عن الدنيا فى آخر العام (١٩٤٩/١١/١٧) .

والمفتاح لشعر هذا الشاعر هو فكرة الفردية الرومانسية والحرية التى لا تتأتى بطبيعة الحال إلا بتوافر الموارد المادية ،

التى تحرر الفرد من الحاجة ولا تشعره بضغوط الفاقة ، فقد ولد لأسرة ميسورة ونعم فى صباه ورجولته بما يكفى من الموارد للترحال والتنقل ، بحيث لم يكن يستطيع أن يرى سوى الجمال ، وأن يخصص قراءاته فى الآداب الأوربية للمشكلات الشعرية التى شغلت الرومانسيين ، عن الإنسان والوجود والفن وما يرتبط بذلك كله من إعمال للخيال الذى هو سلاح الرومانسية الماضى . وهذا ما يقوله طه حسين :

«إن شخصيته الفنية محببة إلىّ حقاً ، فيها عناصر تعجبنى كل الإعجاب ، وتكاد تفتننى وتستهوينى ، فيها خفة الروح ، وعذوبة النفس ، وفيها هذه الحيرة العميقة ، الطويلة العريضة ، التى لا حدّ لها ، كأنها محيط لم يوجد على الأرض . هذه الحيرة التى تصور الشاعر ملاحاً تائهاً حقاً ، والتى تقذفه من شك إلى شك ، ومن وهم إلى وهم ، ومن خيال إلى خيال ، والتى لا تستقر به على حقيقة حتى تزعجه عنها إزعاجاً وتدفعه عنها دفعاً ، وتقذف به إلى حقيقة أخرى لا يكاد يدنو منها ويتبيّنها بعض الشئ حتى يراها أشد هولاً وأعظم نكراً ، وإذا هو يهرب منها ويجدّ فى الهرب» .

وتأثير شعراء الغرب فيه أوضح من أن يحتاج إلى برهان ، فهو يترجم قصيدة «إلى قبره» للشاعر الانجليزى شلى ، وقصيدة البحيرة للامارتين ، ويقول طه حسين إنه يذكره «تذكيراً قوياً بموسيه» (**حديث الأربعاء** - ص ١٤٦) - وإن لم يكن ذلك التأثير مقصوراً عليه ، فجميع أصحاب مدرسة أبولو قد تأثروا بالغرب وبأنواع النظم الغربى .

وسوف يدرك القارئ لأول وهلة مدى اختلاف شعر على محمود طه عن شعر شاعر مثل شوقى مثلاً ، فشاعرنا هنا من أول من ثاروا على وحدة القافية (بل ووحدة البحر – انظر **فلسفة وخيال**) ناشداً فى ذلك وحدة القصيدة أى الوحدة النفسية التى اقتضته ألا يمزج «أغراض» الشعر بأسلوب شوقى ، ولا أن يسعى لوضع الأبيات التى تشبه الحكم المأثورة ، بل أن يسعى إلى أن تكون كل قصيدة – كما يقول الدكتور هيكل فى **ثورة الأدب** (ص٦٠) بمثابة «فكرة أو صورة أو عاطفة يفيض بها القلب ، فى صيغة متسقة من اللفظ ، تخاطب النفس وتصل إلى أعماقها، من غير حاجة إلى كلفة أو مشقة».

إن إدراك هذا الجهد الذى بذله على محمود طه يفسر لنا كيف وجد المحدثون ، الذين كانوا يبنون بنيانهم على أسس مدرسة أبولو ، يسراً فى صياغة الشعر الجديد ، والانتقال بيسر أكبر إلى وحدة التفعيلة – التى كانت النقلة الطبيعية من حركة التحرر الرومانسى إلى حركة التحرر الحديث فى الأدبين الغربى والعربى جميعاً .

ورغم توقف مجلة أبولو عن الصدور عام ١٩٣٥ فقد استمر على محمود طه يرفع لواءها فى دواوينه المتتالية التى تزامن صدور ستة منها مع سنوات الحرب العالمية الثانية ، دون أن تحس لهذه الحرب أثراً فى شعره ، وإن كنت تسمع أصداء من ينشد للإنسان ويهفو للسلم والحرية ، معلياً قيمة الجمال باعتبارها القيمة الإنسانية العليا (مثل الشاعر

الإنجليزى جون كيتس) وكما يقول الدكتور محمد مندور ، كانت «حاسته الجمالية» هى التى تقيه الابتذال ، حتى حينما يبدو للقارئ أنه يبالغ فى الأوصاف الحسية أو يتحدث عن الخمر (**قضايا جديدة فى الأدب الحديث**) .

ومن تراث الرومانسية الغربية استقى على محمود طه صورة «الشاعر» التى كان العقاد يعليها من قبل ، فهما فى هذا يتفقان رغم اختلاف مذاهبهما الشعرية ، فعلى محمود طه يرى مثل شلى أن الشاعر هو وحده القادر على فهم روح الإنسان ، وأنه وحده القادر على ترجمة هذا الفهم إلى وشائج صلة بين الأرواح ، وإذا كان العقاد ينسب هذه القدرة إلى «الشعور» (مثل وردزورث) فإن شلى هو أيضاً يدين بدين كبير إلى أستاذ الرومانسية الأكبر وردزورث .

وبعد فهذه مختارات قليلة نرجو أن تطفئ غلة الظامئ إلى جمال الشعر العربى الحديث وأن تكون مقدمة لقراءة دواوين الشاعر – ونأمل أن يرى الجيل الجديد فيه ما كنا نراه ، رغم طوفان الشعر الجديد .

د. سمير سرحان

د. محمد عنانى

١ – فلسطين

أخى ، جـــاوزَ الظّالمونَ المَدَى

فـــحقُّ الجـــهـــادُ ، وحَقَّ الفِدا

أنتـــركـــهُمْ يَغـــصـــبـــونَ العُروبةَ

مـــجـــدَ الأبوّةِ والســـؤددا ؟

وليـــســـوا بِغَيْرِ صليلِ السيـــوفِ

يُجـيـبـونَ صـوتاً لنا أو صـدى

فـــجـــرِّدْ حـــســـامَكَ من غـــمـــدِهِ

فليسَ لَهُ ، بَعْدُ ، أن يُغـــمـــدا

* * *

أخى ، أيُّهـــا العـــربىُّ الأبىُّ

أرى اليـــومَ مـــوعـــدَنَا لا الغَدا

أخى ، أقـــبلَ الشـــرقُ فى أمَّةٍ

تردُّ الضّلالَ وتُحـــيـــى الهُدى

أخى ، إنَّ فى القدسِ أختاً لنا

أعَدَّ لهـــا الذّابحـــونَ المُدى

صـــبـــرنا على غَدْرِهِمْ قـــادرينَ

وكـنـا لَهُمْ قَدَراً مُرصـــــــدا

طَلَعْنا عليـــــهمْ طلوعَ المنونِ

فطاروا هَبـاءً ، وصـــاروا سُدى

أخى ، قُمْ إلى قبلةِ المشرقَيْنِ

لنحمى الكنيسةَ والمسجدا

أخى ، قُمْ إليها نشقُّ الغمارَ

دماً قانياً ولظى مرعدا

أخى ، ظمئتْ للقتالِ السيوفُ

فأوردْ شَبَاها الدمَ المُصْعدا

أخى ، إن جَرَى فى ثراها دمى

وشبَّ الضرامُ بها موقدا

ففتِّشْ على مهجةٍ حُرَّةٍ

أبَتْ أن يَمُرَّ عليها العِدا

وَخُذْ رايةَ الحقِّ من قبضةٍ

جلاها الوَغَى ، ونماها النَّدى

وَقَبِّلْ شهيداً على أرضها

دعا باسمِها اللهَ واستشهدا

فلسطينُ يَفدى حِماكِ الشبابُ

وجلَّ الفدائى والمُفتدى

فلسطينُ تحميكِ منا الصدورُ

فإمَّا الحياة وإمَّا الرَّدى

٢ - مصر

هَوىً لكِ فيهِ كلُّ ردىً يُحَبُّ
فَديتُكِ ! هل وراءَ الموتِ حُبُّ ؟

فديتُكِ مصرُ ، كلُّ فتىً مشوقٌ
إليكِ ، وكلُّ شيخ فيكِ صَبُّ

ويحلمُ بالفِدَى طفلٌ فطيمٌ
وكلُّ رضيعةٍ فى المَهْدِ تحبُو

أراكِ و أينما ولَّيتُ وجهى
أرى مُهَجاً لوجهكِ تَشْرَئبُّ

وأرواحاً عليكِ محوِّمات
لها فوقَ الضِّفافِ خُطىً ووثْبُ

عليها من دَمِ الغادينَ غارٌ
له بيديكِ تضفيرٌ وعَصْبُ

حَمَتْكِ صدورُها يومَ التَّنادى
ووقَّتْكِ الليالىَ وهىَ حَرْبُ

إذا رامتكِ عاديةٌ وشقَّتْ
فضاءَكِ غيلةٌ ورماكِ خَطْبُ

دَعَتْ بالنَّهرِ فَهْوَ لَظىً ووقْدٌ
وبالنَّسمات فهى حصىً وَحصْبُ

وبالشـجـرِ المنوَّرِ فـهـو غـيلٌ

وكلُّ غُصـــونِهِ ظُفـــرٌ وخِلْبُ

حـقـائقُ عن يدِ الإيمـانِ ترمى

صـــواعقَ وَمْضُهـا رُجْمٌ وشُهْبُ

لهـا فى مـهـجـةِ الجـبَّارِ فَتكٌ

وفى عـينيـهِ إيمـاضٌ وسكْبُ

صَنائعُ كـــالغنائيَّاتِ يَشْدُو

بها شرقٌ ، ويُلْقِى السمعَ غَرْبُ

✍ ✍ ✍

٣ - أغنية الجندول
فى كَرنفال ڤينيسيَا

أين منْ عــينىَّ هاتيكَ المجــالى
يا عروسَ البحرِ ، يا حُلْمَ الخيالِ
أينَ عُشَّاقُكِ سُمَّارُ الليـــالى
أين من واديكِ ، يا مهدَ الجمالِ
موكبُ الغيدِ وعيدُ الكرنڤــال
وسُرَى الجُندولِ فى عَرْضِ القنالِ
بين كأسٍ يتشهَّى الكرمُ خمرَهْ
وحبيبٍ يتمنَّى الكأسُ ثغرَهْ
إلتــقتْ عــينى بهِ أوَّلَ مــرَّهْ
فـــعـــرفتُ الحبَّ من أوَّلِ نظرَهْ
أينَ من عــينىَّ هاتيكَ المجــالى
يا عروسَ البحرِ ، يا حُلْمَ الخيالِ
مرَّ بى مُستضحِكاً فى قُرْبِ سَاقى
يَمــزُجُ الراحَ بأقــداحٍ رِقــاقِ
قـــد قَصَدْناهُ على غَيْرِ اتفــاقِ
فنظرنا ، وابتــســمنا للتَّلاقى

وهو يَسْــتـهـدِى على المَفْرِقِ زهرَهْ

ويُســــــــوِّى بِيَدِ الـفِتْنَة شَعْرَهْ

حـــينَ مـــسَّتْ شَفَتِى أوَّلُ قطرَهْ

خلّتْهُ ذوْبَ فـى كـــــاسـىَ عِطْرَهْ

أينَ منْ عــينىَّ هاتيكَ المجــالى

يا عـروسَ البحـرِ ، يا حُلْمَ الخيالِ

قلتُ ، والنشوةُ تسرى فى لسانى :

هاجتِ الذكرى ، فـأينَ الهَرَمـانِ ؟

أين وادى السِّحرِ صدَّاحَ المغانى ؟

أينَ مـــاءُ النيل ؟ أين الضِّفَّتَان ؟

آهِ ، لو كنتَ مـعى نختــالُ عَبْرَهْ

بشــــراعٍ تَســـبحُ الأنجمُ إثْرَهْ

حـــيث يَروى الموجُ فى أرخمِ نَبْرَهْ

حُلْمَ ليلٍ من ليــالى كليــوبتـــرَهْ

أينَ منْ عــينىَّ هاتيكَ المجــالى

يا عـروسَ البحـرِ ، يا حُلْمَ الخيالِ

أيهــا الملاحُ ، قِفْ بينَ الجــســورِ

فــتنةِ الدنيــا ، وأحــلامِ الدهورِ

صـــفَّقَ الموجُ لـولدانٍ وحــــورِ

يُغــرقــونَ اللَّيْلَ فـى يَنبــوعِ نورِ

مــــا ترى الأغْيَدَ وضَّاءَ الأسِرَّهْ ؟

دقَّ بـالسَّاقِ وقــــد أسْلَمَ صَدْرَهْ

لِمُحبٍّ لـفَّ بـالســـاعِدِ خَصْرَهْ ؟

ليتَ هـذا الليلَ لا يُطْلِعُ فــجــرَهْ !

أينَ منْ عــينىَّ هـاتيكَ المجــالى

يا عـروسَ البحـرِ ، يا حُلْمَ الخيـالِ

رَقَصَ الجُندولُ كـــالنَّجْمِ الوضِىِّ

فاشْدُ ، يا ملاحُ ، بالصوتِ الشجىِّ

وتَرَنَّمْ بـالـنـشـــيـــدِ الوثَنىِّ

هذهِ الـليلةُ حُلْمُ الـعَبـــقـــرىِّ

شـاعتِ الفـرحـةُ فـيـهـا والمَسـرَّهْ

وجَلا الحُبُّ عــلــى الــعُشَّاقِ سِرَّهْ

يَمْنَـةً مِلْ بـى ، عـلـى المـاءِ ، ويَسْرَهْ

إنَّ لـلـجـنـدولِ تحـتَ الـليـلِ سِحْرَهْ

أينَ ، يـا فينيسيا ، تلك المجـالى ؟

أينَ عُشـــاقُكِ سُمَّارُ الـليــالى ؟

أينَ من عـينىَّ أطيـافُ الجـمـالِ ؟

مَوْكبُ الغَيْدِ وعـيدُ الكرنڤـالِ ؟

يا عروسَ البحر ، يا حُلْمَ الخَيالِ !!

✍ ✍ ✍

٤ - ليالى كليوبتره

كليوبترا ! أىُّ حُلْمٍ من لَياليكِ الحسانِ
طافَ بالمَوْجِ فغنّى ، وتغَنَّى الشاطئانِ
وَهفَا كلُّ فؤادٍ ، وشدَا كلُّ لسانٍ :
هذهِ فاتنةُ الدُّنْيا وحسناءُ الزَّمانِ

بُعِثَتْ فى زورقٍ مُسْتَلْهَمٍ من كلِّ فنٍّ
مَرِحِ المجدافِ يختالُ بحوراءَ تُغنِّى

يا حَبيبى ، هذهِ ليلةُ حُبِّى
آهِ لو شاركتَنى أفراحَ قلْبى !

نبأةٌ كالكأسِ دارتْ بين عُشّاقٍ سُكارَى
سَبَقَتْ كلَّ جَناحٍ فى سماءِ النيلِ طارا
تحملُ الفتنةَ ، والفرحةَ ، والوجدَ المُثَارا
حلوةٌ صافيةُ اللّحْن كأحْلامِ العذارى

حُلْمُ عَذراءَ دعاها حبُّها ذاتَ مساءٍ
فتَغَنَّتْ بشراعٍ من خَيالِ الشعراءِ

يا حَبيبى ، هذهِ ليلةُ حُبِّى
آهِ لو شاركتَنى أفراحَ قلْبى !

وتَجَلَّى الزورقُ الصـاعدُ نشوانَ يَمـيدُ
يَتــهــدَّاهُ على الموجِ نَواتيٌّ عــبــيــدُ
المجـاديفُ بأيديهمْ ، هتـافٌ ، ونشـيـدُ
ومُصلُّونَ لَهُمْ فى النهرِ مِحرابٌ عتـيدُ
سَحــرَتْهم رَوْعَةُ اللّيلِ فَهُمْ خَلْقٌ جَديدُ
كلُّهمْ رَبٌّ يُغَنِّى وإلهُ يَســتــعــيــدُ

يا حَبـــيـــبى ، هـذهِ لـيلـةُ حُبِّى
آهِ لو شـــاركـــتَنى أفـــراحَ قلْبى !

إصدَحى ، أيتها الأرواحُ ، باللَّحْنِ البديعِ
إمرَحى ، يا راقصاتُ الضوءِ ، بالموْجِ الخليعِ
قَبِّلى ، تحتَ شراعى ، حُلُمَ الفنِّ الرفيعِ
زورقاً بينَ ضفافِ النيلِ فى ليلِ الرَّبيعِ
رنَّحتْهُ موجـةٌ تَلعبُ فى ضـوءِ النُّجـومِ
وتنادى بشـعـاعٍ راقصٍ فـوقَ الغـيـومِ

يا حَبـــيـــبى ، هـذهِ لـيلـةُ حُبِّى
آهِ لو شـــاركـــتَنى أفـــراحَ قلْبى !

ليلُنا خـمـرٌ وأشـواقٌ تُغَنّى حـولنا
وشـراعٌ سـابحٌ فى النُّور يَرْعَى ظِلَّنا

كانَ فى اللّيْلِ سكارَى ، وأفاقوا قبلَنَا
لَيْتَهُمْ قد عَرَفوا الحبَّ فباتوا مثْلَنَا
كلَّما غرَّدَ كأسٌ شربوا الخمرةَ لحناً
يا حبيبى ، كلُّ ما فى اللّيلِ روحٌ يتغنَّى
هاتِ كــــأسى ، إنهــــا ليلةُ حُبِّى
آهِ لو شــــاركــــتَنى أفــــراحَ قَلْبى !
يا ضِفافَ النيلِ بالله ويا خُضْرَ الروابى
هل رأيتنَّ على النَهْرِ فتىً غَضَّ الإهابِ
أسمرَ الجبهةِ كالخمرةِ فى النُّورِ المُذابِ
سابحاً فى زورقٍ من صُنْع أحلامِ الشبابِ ؟
إنْ يكُنْ مَرَّ وَحَيَّا من بعــيدٍ أو قــريبِ
فَصِفيهِ ، وأعيدى وصْفَهُ ، فهو حبيبى!
يا حَبــــيــــبى ، هذهِ ليلةُ حُبِّى
آهِ لو شــــاركــــتَنى أفــــراحَ قَلْبى !
أنتِ يا من عُدْتِ بالذكرى وأحلامِ الليالى
يا ابنةَ النَّهر الذى غَنَّاهُ أربابُ الخيالِ
وتمنَّتْ فيهِ لو تسبحُ ربَّاتُ الجمالِ
موجهُ الشَّادى عشيقُ النُّور ، معبودُ الظِّلالِ

لم يَزَلْ يَروِى ، وتُصغى للرواياتِ الدهورُ
والضفافُ الخضرُ سكرى ، والسَّنى كأسٌ تدورُ
حُلُمٌ لم تروِهِ ليلةُ حُبٍّ
فاذكريه ، واسمعى أفراحَ قلبى !

✍ ✍ ✍

٥ – العام الهجرى الجديد

غَنِّ بالهجرة : عاماً بعدَ عامِ

وادْعُ للحقِّ ، وبشِّرْ بالسَّلامِ

وترسَّلْ ، يا قصيدى ، نَغَماً

وتنقَّلْ بين مَوْجٍ و غمامِ

صوتُكَ الحقُّ ، فلا يأخُذْكَ ما

فى نواحى الأرضِ من بَغْيٍ و ذامِ

كُنْ بشيرَ الحبِّ والنورِ إلى

مُهَجٍ كلْمَى ، وأكبادٍ دَوامى

هَجَرَتْ أوطانَهَا واغتربتْ

فى مثاليٍّ من المبدإِ سامِ

أنِفَتْ عيشَ الرقيقِ المجتَبى

وأَبَتْ ذُلَّ الضَّميرِ المستْضامِ

يا دُعاةَ الحقِّ : هذى محنةٌ

تُشْعِلُ الرُوحَ بمشبوبِ الضرامِ

هذهِ حربُ حياةٍ ، أو حِمامِ

وصراعُ الخيرِ ، والشَّرِّ العُقامِ

خـاضــهـا الإسـلامُ فـرداً ، وهَدَى
بيـــراعٍ ، وتحـــدَّى بحـــســـام
هـجـــرةٌ كـــانت إلى اللهِ ، وفى
خطْوِهَا : مـــولِدُ أحْداثٍ جِســـام
أخطأ الشـيطانُ مَسْراها ، فـيـا
ضَلَّةَ الشـيطانِ فى تلك المَوامى !
آبَ بـالخَيْبَةِ من غـــــايتـــــهِ
وهو فـوقَ الأرضِ ملعـونُ المقـام
صـــفـــحـــاتٌ من صـــراعٍ خـالدٍ
ضُمِّنَتْ كلَّ فـــخـــارٍ ووســـام
لـم تُتَحْ يومـــــاً لجـــــبّارٍ طَغَى
أو لبـــــاغٍ فـــــاتكِ السَّيْفِ عُرام
بـل لدَاعٍ أعـــــزلٍ فـى قـــــومِهِ
مـسـتـبـاحِ الدَّمِ مـهـدورِ الذِّمـام
زلـزلَ الـعــــــالـم من أقـطارِهِ
بِقُوىَ الرُّوحِ على القَوْمِ الطَّغـــام
وبَنَى أوَّلَ دنـيـــــــــــا حُرَّةٍ
بَرِئَـتَ مـــن كـلِّ ظـلـمٍ وأثـام

تَسَعُ الناسَ على ألوانهم

لم تفرِّقْ بين آرىً وسامى

* * *

حاطِمَ الأصنامِ : هَلْ منكَ يَدٌ

تَذَرُ الظلمَ صديعاً من حُطامِ ؟

لم تُطِقْها حجَراً أو خَشَباً

ويُطاق اليومَ أصنامُ الأنامِ !!

وعجيبٌ صُنْعُهم فى زمنٍ

أبْصَرَ الأعمى به والمتَعامى !

وتُرجى عودةَ المجدِ الذى

أعجزَ البَانى ، وأعيَا المتسامى

من بيوتٍ هاشميَّاتِ البنَى

وعُروشٍ أمويَّاتِ الدعامِ

ونتاجٍ من نُهىً جبَّارةٍ

وتراثٍ من حَضَاراتٍ ضخامِ

قلْ لها ، يا عامُ : لا هُنْتِ ، ولا

كنتِ إلا مهدَ أحرارٍ كرامِ

ذاكَ مجدٌ لم ينَلْهُ أهلُه

بالتمنِّى ، والتغنِّى ، والكلامِ

بل بآلامٍ ، وصبْرٍ وضنىً

ودموعٍ ، ودمٍ حُرٍّ سجامِ

قُلْ لها : إنَّ الرَّحى دائرةٌ

واللَّيالى بَيْنَ كرٍّ وصدامِ

فاستعدى لغدٍ إنَّ غداً

نُهْزَةُ السبَّاقِ فى هذا الزحامِ !

واجمعى أمركِ لليَوْمِ الذى

يَحْمِلِ البُشْرَى لعُشَّاق السلامِ !

✍ ✍ ✍

٦ - البحيرة

عن الفونس لامارتين

ليتَ شــعــرى أهكذا نحنُ نمضى

فى عُبــابٍ إلى شــواطئَ غُمْضِ

ونخــوضُ الزمــانَ فى جُنْحِ ليلٍ

أبدىٍّ ، يُضنى النفــوسَ ويُنضى

وضفافُ الحياةِ ترمُقُها العيـــ

ـــنُ فـبـعضٌ يمـرُّ فى إثرِ بعضِ

دون أنْ نملكَ الرجــوعَ إلى مـــا

فاتَ منها ، ولا الرسوَّ بأرضِ ! ؟

* * *

حَدِّثى القلبَ ، يا بحيرةُ ، مالى

لا أرى « أولڤيرَ » فوقَ ضفافِكْ

أوْشكَ العــامُ أن يمــرَّ ، وهذا

مــوعــدٌ للقــاءِ فى مُصطافِكْ

صـخرةَ العهدِ ! ويكِ ، هأنذا عُدْ

تُ ، فماذا لديكِ عن أضيافِك ؟

عدتُ وحدى أرعَى الضفافَ بعينٍ

سفكتْ دمعَها الليالى السوافِكْ

* * *

كنتِ بالأمسِ تهدرينَ كما أنـــ

ـــتِ هديراً يهـــزُّ قلبُ السكونِ

وضـــفـــافٍ أمـــواجُهَا يتـــداعـــ

ـــين على هذهِ الصـــخورِ الجـونِ

والنســـــيمُ العليلُ يدفعُ وَهْنًا

زَبَدَ الموجِ للربِّى والحــــــزونِ

ملقـــيـــاً رغـــوَها على قَدَمَيْهـــا

ليِّنَ المسِّ مـــســـتـــحبٌّ الأنينِ

* * *

أتُرى تـذكـــــرينَ ليلـةً كنا

منكِ فوقَ الأمواجِ ، بينَ الضفافِ

وســـرى زورقٌ بنا يتـــهـــادى

تحتَ جنحِ الدُّجى وسترِ العفافِ ! ؟

فى سكونٍ ، فليسَ نسمعُ فوق المـــ

ـــوجِ إلا أغـــانىَ المجـــدافِ

تتـــلاقى علـى الرُّبى والحـــوافى

بأناشــيــدِ مــوجِكِ العــزَّافِ ؟ ؟

* * *

وعلـى حـــينِ غـــرةٍ رنَّ صـــوتٌ

لـم يُعَوِّدْ ســـــمــــــاعَه إنسـىٌ

هبطَ الشـاطىءَ الطروبَ فـمـا يُسـمـ

ــعُ فــيــهِ للهـــاتفـــاتِ دوىٌّ

وإذا الـلـيلُ ســـــاهـمٌ سكَنَ الـنو

ءُ إلـيــــــهِ وأنـصـتَ الـلـجـىُّ

يتلقى عن نبــأةِ الـصـــوتِ نجــوى

كـلـمـــــــاتٍ ألـقى بـهـنَّ نجـىٌّ

* * *

يا زمــاناً يمــرُّ كــالطيــرِ مــهــلاً

طائرٌ أنتَ ؟ ويكَ ، قِفْ طيــرانَكْ !

أهناءَ الســاعــاتِ تجــرى وتعــدو

نا عطاشــاً ، فـقف بنا جـريانك !

ويكَ دَعنـا نمـرحْ بـأجـــــملِ أيا

مٍ ونلقى ، من بَعْدِ خــوفٍ ، أمــانكْ

وإذا نحن لَذَّةَ العـيش ذقنا

ها ومــرَّت بنا فَدُرْ دَوَرَانكْ !

* * *

بَيْدَ أنَّ الشـقـاءَ قـد غَمَرَ الأر

ضَ وفاضَ الوجودُ بالتاعسينا

كلهمْ ضـارعٌ إليك يرجِّيك

فأسرعْ ! أسرعْ ! إلى الضَّارعينا

وافترس مُشْقِيات أيامهمْ وامـ

ـضِ رحىً تطحنُ الشقاءَ طحونا

رحمةً ، فاذكرِ النفوسَ الحزانى

وانسَ ، يا دهرُ ، أنفسَ الناعمينا !

* * *

عبثاً أنشدُ البقاءَ لعهدٍ

يَفْلِتُ اليومَ من يدى ويفـرُّ

وسويعاتِ غبطةٍ ما أراها

ووشيكاً ما تنقضى وتمرُّ

وأنادى يا ليلةَ الوصلِ قـرِّى

إن بعـد السُّرى يطيبُ المقـرُّ

أســـفـــاً للصبّـــا وغـــرٍّ ليـــالٍ

ليس يُبـقى على صـبـاهنّ فـجـرُ

* * *

فـلـنـحـبَّ الـغـــــداةَ ولـنـحـىَ حُبًّا

ولنكنْ فى الحـيـاةِ بعـضـاً لبـعضِ

ولنســارعْ فنقـتـفى إثْرَ سـاعـا

تٍ فـقـد تؤذنُ النوى بالتـقـضِّى

إننا فى الحــيــاةِ فى عُرْضِ بحــرٍ

ليس نُلقى المرســاةَ فــيــهِ بأرضِ

مـــا بـه مـــرفـــأ يَبـــينُ ولكنْ

نحن نمضى فى لجِّه ، وهو يمضى !

* * *

أكـــذا أنتَ ، أيهـــا الزَمَنُ الحـــا

قــدُ ، تغــتــالُ نشــوةَ اللحظاتِ ؟

حـيثُ يُزجِى لنا الســعــادةَ أمــوا

جــاً من الحبِّ زاخــرُ اللجــاتِ ؟

أكـذا أنت ، ذاهبٌ بليــالى الصـــ

ـــفــوِ عنا ســـريعـــةَ الخطواتِ ؟

أكـذا تنقـضى مـلاوةُ نعـمـا
ها كمـا ينقـضى شـقـاءُ الحـيـاة ؟

* * *

كيفَ حـدَّثْ : أغـالهـا منك صـرفٌ
فى أبيـدِ الزَّمـانِ حـيثُ طواهـا ؟
ويكَ ، قل لى ، أليسَ نملكُ يومـاً
أن نراهـا ؟ أمـا تبـينُ خُطاهـا ؟
أتراهـا ولَّتْ جـمـيـعـاً ، ولما
تبقَ حـتـى آثارُهـا ، أتراهـا ؟
أوَذاكَ الدهرُ الذى افتنَّ فى صـو
غِ صبـاهـا هو الذى قد مـحـاهـا ؟

* * *

أيُّهـذا الزمـانُ ، والعـدمُ العـا
تى ، غـريقـين فى سكونٍ وصـمتِ
أىْ عـمـيقَ اللجـاتِ : مـاذا بأيا
مِ صـبـانا ؟ مـاذا بهنَّ صنعتِ ؟
حـدثينى ، أمـا تعـيـدينَ مـا من
سكراتِ الغـرامِ منا اخـتطفتِ ؟

أوَ مــا تُطلقــينهـــا من دياجـــيـ

ـكِ ؟ أمـا تبـعـثـينهـا بعدَ مـوتٍ ؟

* * *

أنتِ ، يا هذهِ البـحــيـرةُ ، مــاذا

يكتمُ الموجُ فــــيكِ والشطآنُ

أيهــــا الغـــابةُ الظليلةُ رُدِّى

أنت ، يا من أبقى عليـهـا الزمـانُ

وهو يسطيعُ أن يُجِدِّكِ حـسناً ! !

إحـفظى لا أصـابكِ النسـيـانُ ! !

قلَّ حـفظاً أن تذكـرى ليلةً مــرَّ

تْ وأنتِ الطبـيــعــةُ الحـسَّانُ

* * *

ليكُنْ منكِ ، يا بحـيـرةُ ، مـا لجَّ

بكِ الصـمتُ أو جنونُ اصطخـابكْ

فى مـــغـــانيكِ حـــاليـاتٍ تراءى

ضـاحكاتٍ على سـفـوحِ هِضـابكْ

فى مـروجِ الصَّنوبرِ الحـوِّ تهـفـو

سـابغـاتُ الأليـافِ حـولَ شـعـابكْ

فى نتوءِ الصخورِ ، مشرفةِ الأعنا

قِ ، بيضاً ، تُطلُّ فوقَ عُبابكْ

* * *

وليكنْ فى العُباب يهدرُ أمـ

ـواجاً على شاطئيك مثلَ الرعودِ

فى انتحابِ الرياح تُعول فى الوديـ

ـانِ إعوالَ قلبىَ المفؤودِ

فى صدى الجدولِ الموقّع أنّا

تِ حشاهُ بالجندلِ الجلمودِ

فى شذاكِ السرىِّ ينشقُ منه الـ

ـقلبُ ريًّا فردوسهِ المفقودِ ! ؟

* * *

وليكن فى النسيم ما هبَّ سار

يهِ يجوبُ الشطآن نحوكِ جَوْبا

فى جبينِ النجمِ اللجينىِّ يُلقى

فِضّةَ الضوءِ فى مياهكِ ذَوْبا

وليكنْ فى شتيتِ ما تسمعُ الأذ

نُ ، وفيما نراهُ عيناً وقلباً

ليكنْ هـاتفٌ منَ الصـــــوتِ يتلو

« قـد أحـبًا وأخلصـا مـا أحـبا »

✍ ✍ ✍

٧ - قبر شاعر

رثاء فوزى المعلوف

رفَّت عليه مورقاتُ الغصونْ

وحفَّهُ العشْبُ بنوَّارِهِ

ذلكَ قبرٌ لم يُشيدْهُ المنونْ

بلْ شادهُ الشعرُ بآثارِهِ

أقامَهُ من لبِناتِ الفنونْ

وزانهُ المجدُ بأحجارِهِ

ألقى به الشاعرُ عِبءَ الشجونْ

وأودعَ القلبَ بأسرارِهِ

* * *

وجاورتْهُ نخلةٌ باسقَهْ

تجثُم فى الوادى إلى جنبهِ

كأنها الثاكلةُ الوامقَهْ

تقضى مدى العُمْرِ إلى قربهِ

تئنُّ فيها النسمةُ الخافقَهْ

كأنما تخفقُ عن قلبهِ

وتُرسلُ الأغنيـــةَ الشـــائقَةْ

قِمْريةٌ ظلَّتْ علـى حــــــبِّهِ

* * *

ويُقبلُ الفجرُ الرقيقُ الإهابْ

يحنو على القبرِ بأضوائهِ

كـأنما ينشُدُ تحتَ التراب

لــؤلـؤةً تُزرى بـلألائـهِ

إِستلَّ منها الموتُ ذاكَ الشهابْ

غيرَ شُعاعٍ ، فى الدُّجى ، تائه

يَظَلُّ يهفو فوقَ تلكَ الشعابْ

يطوفُ باليَنبوعِ من مـائهِ

* * *

ويذهبُ النُّورُ ويأتى الظلامْ

وتبزغُ الأنجمُ فى نسقهِ

حيرى ، تحوم الليلَ كالمستهامْ

أسهرهُ الثائرُ منْ شوقهِ

تبحثُ عن نجمٍ بتلكَ الرجامْ

هوتْ به الأقدارُ عن أفقهِ

أخٌ لهـــا فى الأرضِ ودُّ المقـــامْ

وآثر الغـــربَ على شـــرقـــهِ

* * *

ويُطلقُ الطيـرُ نشـيـدَ الصـبـاحْ

بنغـــمـــةٍ تصـــدُرُ عن حُزنهِ

يَمُدُّ فـــوقَ القـــبـــرِ منهُ الجناحْ

ويـرسلُ المـنقـــــارَ فـى ركنـهِ

أفـضى إلى الراقـدِ فـيـه وَباحْ

بـــأنَّهُ المــلــهـــمُ مـــن فـــنِّهِ

فَمِنْ قـوافـيـهِ اسـتـمـدَّ النُّواحْ

ومن أغـــانيـــهِ صـــدى لحنهِ

* * *

وحـــين تمضى نَسَمَاتُ الخـــريفْ

وتملأُ الأرضَ رياحُ الشـــتـــاءْ

ويقـــبلُ الليلُ الدَّجِىُّ المخـــيفْ

فـلا ترى نجـمـاً ينيـرُ السـمـاء

هـناكَ لا غـــصـنٌ عليـــهِ ورَيفْ

يهـفـو ، ولا طيـرٌ يثـيـرُ الغناء

يظلِّلُ الأرضَ الظلامُ الكثيفْ
كأنما تُمسى بوادى الفناءْ

* * *

يا شاعراً ما جمعتنى بهِ
كواكبُ الليلِ وشمسُ النهارْ
لكنَّه الشرقُ وفى حبِّهِ
ينأى بنا الشوقُ وتدنو الديارْ
سكبتَ من شجوكَ فى قلبه
ومن مآقيكَ الدموع الغِزار
فودَّ أنْ لو نِمْتَ فى تربهِ
ليشفىَ النفسَ بهذا الجوارْ

* * *

قد راعنى موتُكَ ، يا شاعرى
فى ميعةِ العمرِ وفجرِ الشبَابْ
وهزَّنى ما فاضَ من خاطرِ
كانَ ينابيعَ البيانِ العِذَابْ
ونفثاتُ القَلَمِ الساحرِ
فى جوبِكَ الأُفقَ وطىِّ السحابْ

ووقـــفـــةٌ بالكوكبِ الحـــائرِ

رأى بســـــاطَ الريحِ يدنو فَهَابْ

* * *

لكنَّهُ شـــعـــرِكَ لمَّا يَزَلْ

يُردِّدُ الكونُ أناشـــيـــدَهُ

شِعــرٌ كَصــوْبِ الغــيثِ أنَّى نزلْ

أرقصَ فى الرَوْضِ أمـــاليـــدَهُ

وعلَّم الطيـــرَ الهـــوى والغَزَلْ

فـــأســـمعَ الزهرَ أغـــاريدَهُ

وَغَنَّتِ الـــريـــحُ بـــه فـــى الجَبَلْ

فـــحـــركتْ منهُ جـلامـــيـــدَهُ

* * *

يا قـــبـــرُ لم تُبْصِرْكَ عـــينى ولا

رأتك إلا فـى ثنايا الخـــيـــالْ

مـــلأتَ بالرَّوْعِ فـــؤاداً خـــلا

إلا من الحبِّ ونورِ الجـــمـــالْ

أوحـــيتَ لى ســـرَّ الردى فـــانجلى

عن عـــينىَ الشكُّ وليلُ الضـــلالْ

ـ ذأ ســتطوى القلبَ أيدى البلى

ويقنصُ النجمَ عــقــابُ الليــالْ

* * *

وهكذا تمضى ليــالى الحــيــاهْ

والقـــبـــرُ مـــازالَ على حـــالهِ

دنيــــــا مـن الـوَهْمِ ودهـرٌ تـراه

يـغَرِّرُ الـقـلـبَ بـآمـــــــالـهِ

يســخـرُ من مـبـتـسـمـاتِ الشـفـاهْ

وجـــامـــدِ الـدمـعِ وسَيَّالـهِ

دهـرٌ على العـــالمِ دارتْ رحـــاهُ

فـلم تَدَعْ رســــمـــــاً لأطـلالـه

✍ ✍ ✍

٨ - شاعر مصر

فى رثاء حافظ إبراهيم

دَعَوْتَ خَيالى فاستجابتْ خواطرى
وحــــــدَّثنى قلبى بـأنكَ زائرى

عَشَيَّةَ أغرى بِى الدُّجى كلُّ صـائحٍ
وكلُّ صـدىً فى هَدْأةِ الليلِ عـابرِ

أقــولُ مَنِ السَّارى ؟ وأنتَ مُقَارِبِى
وأهتفُ بالنُّجْوَى ، وأنتَ مُجـاوِرِى

أُحِسُّكَ مِلءَ الكونِ رُوحـاً وخـاطراً
كـأنَّك مـبـعـوثُ الليـالِى الـغـوابرِ

ومـثَّلَ لى سـمْعى خُطاكَ ، فـخِلْتُهـا
صَدَى نبـأٍ من عـالمِ الغَيْبِ صـادرِ

سِوى خطراتٍ من بَنانٍ رفـيـقـةٍ
طَرَقْتَ بهـا بابى فَهَبَّتْ سـرائرى

عـرفـتُكَ ، لم أسـمعْ لصـوتِكَ نَبْأةً
وشِمْتُكَ ، لـم يَلْمَحْ مُحَيَّاكَ نـاظـرى

أرى طَيْفَ معشوقٍ ، أرى روحَ عاشقٍ
أرى حلْمَ أجيالٍ ، أرى وجهَ شاعرِ

* * *

إلَيْكَ ضِفافَ النيل ، يا روحَ حافظٍ ،

فَجدِّدْ بها عهدَ الأنيسِ المُسامِرِ

وساقِطْ جَنَاها من قوافيكَ سلْسَلاً

رَخِيماً كأرْهامِ النَّدى المُتناثِرِ

سَرَتْ فيه أرواحُ النَّدامَى ، وصَفَّقَتْ

كؤوسٌ على ذِكْرِ الغريبِ المسافرِ

نَجِيُّ الليالى القاهريّاتِ : طُفْ بها

خَيَالَة ذكرى ، أو عُلالَة ذاكرِ

وجُزْ عالَمَ الأشباحِ ، فالليلُ شاخصٌ

إليكَ ، وأضواءُ النجومِ الزَّواهرِ

وطالِعْ سماءً فى مَعَارجِ قُدْسِها

مَرحْتَ بِوُجْدانٍ من الشِّعرِ طاهرِ

وسَلْسلْتَ من أندائِها وشُعاعِها

جَنَى كَرْمَة لم تَحْوِها كفُّ عاصرِ

تَدَفَّقَ بالخمرِ الإلهِىِّ كأسُها

فَغَرَّدَ بالإلْهَامِ كلُّ مُعاقِرِ

عَلَى النِّيل رُوحانيةٌ من صَفَائِها

وَلألاءُ فجرٍ عن سَنَا الخُلْدِ سَافِرِ

فـــصـــافِحْ بعـــينيكَ الدَّيارَ فطالما
مَدَدْتَ على آفـــاقِهـــا عـــينَ طائرِ
وخُذ فى ضِفافِ النهر مَسْراكَ ، واتَّبِعْ
خُطَى الوحْيِ فى تلكَ الحقولِ النَّواضرِ
حـــدائقُ فـــرعَونٍ بدفَّاقِ نَهـــرِها
وجَنَّتُهُ ذاتُ الجَنَى والأزَاهـــــــرِ
وفى شُعَبِ الوادى ، وفـوقَ رمـــالهِ
عِصىُّ نبىٍّ ، أو تَهَاويلُ ســـاحـــرِ
صـوامعُ رُهْبـانٍ ، مَحـاريبُ سُجَّدٍ ،
هيـاكِلُ أربابٍ ، عـروشُ قـيـاصـرِ
سَرَى الشـعرُ فى باحـاتها روحَ ناسكٍ
وترديدَ أنفـاسٍ ، ونَجْوَى ضـمـائرِ
وهمْسَ شِفـــاهٍ تَشْمَلُ الروحُ عندَهُ
وتَسْبَحُ فى تِيـهٍ من السِّحْرِ غـامـرِ
هو الشعرُ ، إيقاعُ الحياةِ وشَدْوُها
وحُلْمُ صبِـــاها فى الرَّبيعِ المُبـــاكِرِ
وصــوتٌ بأســرارِ الطبـيـعـةِ نـاطقٌ
ولكنَّه روحٌ ، وإبداعُ خـــــاطرِ

ووثبةُ ذهنٍ ، يَقْنِصُ البــرقَ طائراً

ويغــزو بروجَ النَّجْمِ غــيرَ مُحــاذِرِ

فــيـا دُرَّةً لم يحـوِها تاجُ قـيـصـرٍ

ولا انتظمتْ إلا مــفــارقَ شــاعِرِ

تألَّه فـيكِ القلبُ واسـتكبـرَ الحِجَى

على دَعَةٍ ، من تَحْتـهــا روحُ ثائرِ

إذا اعترضَ الجبَّارُ ضَوءكِ شامخاً

تَلقَّيْتِهِ كــبْراً ببَسْمَةِ ســاخـــرِ

لَمستِ حــديدَ القَيْدِ فــانحلَّ نظمُه

وأطلقتِ أســــرَى من براثِنِ آسِرِ

ومـا زِدْتِ فى الأحداثِ إلا صـلابةً

إذا النَّارُ نالتْ من كِرامِ الجــوَاهرِ

يزينُ بكِ الرَّاعى ســقـيـفـةَ كُوخِهِ

فـتـخـشَعُ حَيْرَى نيِّراتُ المقـاصـرِ

أضاعوكِ فى أرضِ الكنوزِ ، وما دَرَوْا

بـأنكِ كَنْزٌ ضَمَّ أغْلَى الـذَّخــــائرِ

وهُنتِ على مــهـدِ الفنونِ ، وطالما

ســمــوتِ بسلطانٍ من الفنِّ قــاهِرِ

إذا افــتــقــدَ التــاريخُ آثارَ أمَّةٍ

أشَرْتِ بما خلَّدتِهِ من مــــآثرِ

* * *

سَلاماً ، سَلاماً ، شاعرَ النيلِ : لم يزَلْ

خــيــالُكَ يَغْشَى كلَّ نادٍ وســامِرِ

وشعــرُكَ فى الأفــواهِ إنشــادُ أمــةٍ

تغنَّتْ بماضٍ واستعـزَّتْ بحـاضِرِ

وذِكْراكَ نَجْوى اليائسينَ ، إذا هَفَتْ

قلوبٌ ، وحـارتْ أدْمُعٌ فى المَحـاجِرِ

يَدُلُّ عـليكَ الـقـلـبَ أنَّاتُ بـائسٍ

ونظرةُ مـحْزونٍ ، وإطراقُ ســادِرِ

ومــا أنتَ إلاَّ رائدٌ من جــمـاعــةٍ

تَوالَوا تِبـاعــاً بالنُّفــوسِ الحــرائرِ

صَحَتْ بادياتُ الشَّرْقِ تحتَ غُبــارِهِمْ

علــى شَدْوِ أقـــلامٍ ولمعِ بـواتِرِ

وفى القِمَمِ الشَّماءِ ، مِنْ صَرَخاتِهِم ،

صَدَى الرعدِ فى عَصْفِ الرياحِ الثَّوائرِ

يضـيئـونَ فى أفْقِ الحـياةِ كـأنَّهمْ

على شَطِّهـا النَّائى منارةُ حـــائرِ

فـيـا شـاعـراً غَنَّى فَرَقٌ لشَجْوِهِ
جَفاءُ اللَّيالى ، واعتِسافُ المقادرِ

لَكَ الدهْرُ ، لا ، بل عالَمُ الحِسِّ والنُّهَى
خـمـيلةُ شـادٍ آخـذٍ بالمشَاعـرِ

فَنَمْ فى ظلالِ الشَّرْقِ ، واهنَأ بمضْجَعٍ
نَدِيٍّ بأنفـاسِ النَّبِيِّينَ عـاطِرِ

ووَسِّدْ ثـراهُ الـطُّهْرَ جَنْبَكَ وانـتَظِمْ
لِذاتِكَ فـيـه ، فَهُوَ مَهْدُ العَبَاقِرِ

✍ ✍ ✍

٩ – شوقى

فى رثاء الشاعر احمد شوقى

هَجَرَ الأرضَ حــينَ مَلَّ مــقــامــهْ

وطوى الــعــمــرَ حــيــرةً وســآمــهْ

هَيْكلٌ من حــقــيــقــةٍ وخــيــالٍ

مَلَكَ الحبُّ و الجــمــالُ زمــامَه

ألْهَمَ الشــعــرُ أصــغــريهِ فــرقًا

فى فَمِ الدهرِ كــوثراً و مُدامــه

سلســبيلٌ من حكمــةٍ و بيــانٍ

فَجَّرَ اللهُ منهــمــــا إلهــامَه

تــأخـــذُ الــقلبَ هَزَةٌ مـن تســـا

قــيــه ، ويَنْسى بســـحــره آلامــه

غَمَرَ الأرضَ رحـــمـــةً وسَلامـــاً

وجــلا الكونَ فـــتنةً ووســـامـــه

مــالئــاً مِسْمعَ الوجــودِ نشــيــداً

عَلَّمَ الطيــرَ لحنَهُ وانســـجــامــهْ

مــالَهُ و الزمــانُ مــصــغٍ إليــه

رَدَّ أوتـــارَه وحـــطَّمَ جَامَهْ ؟

رَوَّعَ الطيرُ يومَ غابَ عن الأيْـــ
ـــكِ وسالتْ جراحُها الملتامة
ما الذى شاقَهُ إلى عالمِ الرُّوْ
حِ ؟ أجَلْ تلكَ روحُهُ المستهامة !
راعها النورُ وهىَ فى ظلمة الكـ
ـكونِ فخفَّتْ إليه تطوى ظلامهْ
هى بنتُ السمـــاءِ وهو من
الأرض سليلٌ نما الترابُ عظامه
فاهتفوا باسمه فما ماتَ ، لكنْ
آثرَ اليومَ فى السماءِ مُقامهْ !

* * *

حدَّثتنى الرياضُ عنهُ صَباحاً
ما لصدَّاحِها جفا أنغامهْ ؟
وشكا لى النسيـــمُ أولَ يومٍ
لم يُحمِّلْهُ للحبيبِ سلامهْ
وتسمَّعتْ للغديرِ يُنادى
ما الذى عاقَ طيرَه وحيامهْ ؟
أتُراهُ ترشَّفَ الفجـــرَ نوراً
أم شفى من نَدَى الصباحِ أوامهْ

ورأيتُ الجـمـالَ فى شُعَبِ الوادى

ينادى بطاحَهُ و أكـــامـــهْ

صـارخاً يسـتجيرُ شـاعرَهُ الشـ

ـــادى ، ويدعـــو لفنِّه رسَّامـــهْ

فَتَلَفَتُّ باكـــيـــاً وبعـــينى

شَبَحٌ تخطرُ المنونُ أمـــامـــهْ

هتفَ القلبُ بالمنادينَ حـــولى :

لَقِيَ الصـــادحُ الطروبُ حِمـــامـــهْ

فـــاذكـــروا شـدْوَهُ بكل صـــبـــاحٍ

وارقـــبـــوا من خَيَاله إلمامـــه

وامـلأوا الأرضَ والسـمـاءَ هُتـافـاً

عَلَّهُ لم يَرَ الصـــبـــاحَ فنامـــهْ

* * *

لـم يرُعنِى مـن جـــانبِ النيلِ إلا

كـــرمـــةٌ فـــوقَهَا ترفُّ غَمَامـــة

تحت سـاجى ظلالـهـا زهـرةٌ تبـــ

ـــكى ، وفى فَرْعِهَا تنوحُ حـمَامـة

عـرفُتـهـا عينى ، ومـا أنكرتهـا ،

من ظلامٍ و وحـشـةٍ و جَهَامـة

قلتُ يا كَرْمَةَ ابنِ هانى سَلامــاً

ليسَ للمرءِ فى الحياةِ سلامة

نحنُ ، لو تعلمينَ ، أشباحُ ليلٍ

عابرٍ يَنسخُ الضياءُ ظلامه

والذى تلمحينَ من لَهبِ الشـ

ـمسِ غداً يُطفىءُ الزمانَ ضرامه

والذى تبصرينَهُ من نجومٍ

فَلكٌ يرصدُ القضاءُ نظامه

عَبَثاً نُنشدُ الحياةَ خلوداً ،

ونرجِّى الصِّبا ، ونبغى دوامهْ

إنما الأرضُ قبرُنا الواسعُ الرحـ

ـبُ وفى جوفِهِ تطيبُ الإقامة

أودعَ القلبُ فيهِ آلامَه الكـ

بدى ، وألقى ببابه أحلامه

نَسِىَ الناعمونَ فيه صباهُمْ

وسلا المغرمُ المشوقُ غرامهْ

فامسحى الدمعَ وابسمى للمنايا

إنَّ دنياكِ دمعةٌ وابتسامة ! !

* * *

أيهـا المسـرحُ الحـزينُ عـزاءً

قـد فـقـدتَ الـغـداةَ أقـوى دِعـامـه

ذَهَبَ الشـاعـرُ الذى كنتَ تسـتـو

حى وتسـتلهمُ الخلودَ كـلامـهْ

ولكَ اليـومَ همـةٌ فى شـبـابٍ

مـلأوا الـعـصـرَ قـوةً و همُامهْ

نزلوا سـاحَةً يشـيـدونَ للمـجـ

ـدِ وشـقُّوا إلى الحـيـاةِ زحـامـه

فـاذكـروا نهـضـةَ البـيـانِ بأرضٍ

أطلعتْ فى سـمـائهـا أعـلامـه

إنـهـا أمـةٌ تـغـارُ على الفنِّ

وترعـى عـهـودَه و ذمـامـهْ

لم تَزَلْ مصرُ كعبةَ الشعرِ فى الشر

قِ ، وفى كـفِّهـا لواءُ الزعـامـة

إنَّ يومـاً يفـوتُهـا السَبْقُ فـيـه

لهـوَ يومُ المعـادِ يومُ القـيـامـة ! !

✍ ✍ ✍

١٠ - سورية وعيد الجلاء

تحية استقلال سورية

ورثاء صبرى ابو علم

هنَّأتُ باسمكِ تحتَ الشمسِ أحرارا

يَنْدَى هواكِ على هاماتهمْ غارا

دمَشْقُ ! يا بلدَ الأحرارِ ، أىُّ فتىً

لم يَمْتشقْ فيكِ سيفاً أو يَخُضْ نارا ؟ !

ذَوْدا عن الوطنِ المعبودِ ، من دمِهِ

للمجدِ يبنيهِ آطاماً وأسوارا

زَكَتْ « أميَّةُ » فى أعراقهِ وجرتْ

دماً يُروِّى الثرى أو يغسلُ العارا

عيدُ الجلاءِ أسمِّيهِ وأعرفُهُ

يومٌ تَبارَكَ أنداءً وأسحارا

جلا عن الشرقِ ليلُ البغى حينَ جلا

عروبةٌ فيكِ تَلْقَى الأهل والدارا

لولا مصابٌ دهى الوادى فشبَّ به

ناراً ، وهاجَ النسيمَ العذبَ إعصارا

ورَوَّعَ الأمــــةَ الـغلبــــاءَ فى رَجُلٍ

شــدَّتْهُ قـوسـاً ، وسلَّتْ منه بتَّارا

من النوابغِ أعـمـاراً إذا قـصـرتْ

مـدُّ النبـوغُ لهم فى الخلدِ أعمـارا

أحـرارُ مملكةٍ فى الرأى مـا أثمـوا

سَمَّاهـمـو الغـاصبُ الظَّلام ثُوَّارا

ثاروا على القيدِ حتى انحلَّ ، واقتحموا

على الطواغيت حِصْنَ الظلمِ فـانهارا

... لولاهُ كـانَ إليكِ البـرقُ راحلتى

أطوى به الجـوَّ آفـاقـاً وأقطاراً

وجئتُ «فيحاءُ» أزجى الشعرَ مُفْتَقِداً

تحتَ الصفائحِ مقداماً ومغواراً

والمفتدونَ ، شُراةُ الخلد ، قُلْ لهمو

مـا ينظمُ المدحُ ألحـاناً وأشـعاراً !

✍ ✍ ✍

١١ - بطل الريف : عبد الكريم الخطابى

لا السـيفُ قَرَّ ولا المحـارِبُ عـاداَ

وسنَيْحَ البشيرِ ! بأىِّ سلْمٍ نادَى ؟

الأرضُ من أجسـادِ من قُتِلوا بهـا

تَجْنِى العـذابَ وتُنْبِتُ الأحـقـادا

فاضَ السحابُ لها دَماً - مُذْ شَيَّعتْ

شَمسَ النهـارِ - فـخـالطتْهُ سَوادا

رأتِ الحِدادَ به على أحـيـائهـا

أتُرَاهمو صبَغوا السمـاءَ حِدادا !

وَدَّ الطُّغـاة بكلِّ مَطْلَعِ كـوكبٍ

لو أطفـأوه وأسـقطوهُ رَمَادا

وتخـوَّفُوا وَمْضَ الشِّهابِ إذا هَوَى

وبُروقَ كلِّ غـمـامـةٍ تتـهـادَى

ولو انَّهم وَصَلُوا السمـاءَ بعِلْمِهم

ضرَبوا على آفـاقـهـا الأسْدَادَا

لـولا لـوامِعُ مـن نُهـىً وَبـصَائـرٍ

تَغزُو كُهـوفـاً او تَؤمُّ وهادا

لـم يَرْقَ عَقْلٌ أو تَرِقّ ســــــــريرةٌ

وقـضـى الوجـودُ ضـلالـةً وفـســادا

راعَ الطُّغــاةَ شُعَاعُهُ فــتــســاءَلوا

مَنْ نَصّ هــذا الــكَوْكَبَ الــوَقَّادَا ؟

إنْ تَجْهَلــوا فَســلُوا بــه آبــاءَكُم

أيَّامَ شَعَّ عــــــدالةً ورِغــــــادا

هــل أبـصــــــــروا حُرِّيَّةً إلا بــه

أو شـــيَّدوا لحــضــــارةٍ أوتـادًا ؟

حَمَلَتْ سَنَـاهُ لـهـم يَدٌ عــــــربيَّةٌ

تبنى الشــعـــوبَ وتنسجُ الآبادا

هـى أمّةٌ بـالأمسِ شـــــادتْ دَولـةً

لا تعــرفُ العِبْدانَ والأســيــادَا

جُرْتُمْ عليــــهـــــا ظالمينَ بعَدِّكم

وعَدِيدِكم تتـــخــــايلونَ عتَادا

ومَنَعْتُمــوها من مــواهبِ أرْضِـهــا

مـــاءً بهِ تَجِـدُ الـحــيـــاةَ وَزَادا

فى المغربِ الأقصى فتىً من نورِها

قَدَحَتْ به كفُّ الســـمـــاءِ زِنادا

سَلَّتْهُ سـيـفـاً كي يحـرِّرَ قَوْمَهُ

وُيُزِيلَ عن أوطانه اسـتـعـبـادَا

مـا بـالكم ضِقْتُم به وحَشَدْتُمو

من دونِهِ الأسـيـافَ والأجنادَا ؟

اشْعَلْتُمـوهـا ثـورةً دَمَوِيَّةً

لا تعـرفـونَ لنارِها إِخـمـادَا

حـتى إِذا أوْهَى القـتـالُ جِلادَكم

ومـضـى أشَدَّ بسـالةً وجِلادَا

جـئْتُمْ إِليـهِ تُهـادِنونَ سُيوفَهُ

وسـيـوفُهُ لم تسكُنِ الأغـمـادَا

وكتبتمو عهداً - بحَدِّ سيوفكم -

مَزَّقْتُمُوهُ ولـم يـجِفَّ مِداداً

* * *

الأهلُ أهْلُكَ ، يا أميرُ ، كما تَرَى

والـدَّارُ دارُكَ قُبَّةً و عِمَادَا

أنَّى نَزَلتَ بمصـرَ أو جـاراتِهـا

جـئْتَ الـعُروبةَ أمَّةً وبِلادَا

مَدَّت يدَيْها و احْتَوَتْكَ بصدرها

أمٌّ يَضمُّ حنـانُهـا الأولادَا

ولو استطاعتْ رَدَّ ما استَوْدَعْتَها

رَدَّتْ عليكَ المَهْدَ و الميـــــلادَا

وَأتتْكَ بالذِّكَرِ الخــــوالدِ طاقــةٌ

كــأجَلِّ مـــا جــمعَ المحبُّ وهادَى

مـاذا لَقِيتَ من الزَّمـانِ بصـخـرةٍ

قـاسَيْتَ فـيـهـا غُرْبةً و وِحادًا ؟

وَبَلَوْتَ من صلَفِ الطُّغــاةِ وعَسْفِهم

فـيـهـا الليـالى والسنينَ شِدَادًا ؟

جعلوا البـحـارَ ، ومثلُهُنَّ جبالُها ،

سَدًّا عليك وأوسـعـوك بعــادَا

دَعْهُم ! فـأنتَ سَخِرْت منَ أحلامـهمْ

وأطَرتَهُنَّ مـــع الـــريـــاحِ بـــدادًا

عشرينَ عاماً ، قد حَرَمْتَ عيونَهم

غُمْضَ الجـفـونِ ، فـمـا عَرَفْنَ رُقـادَا

يَتَلَفَّتُون وراءَ كـلِّ جـــــــــزيـرةٍ

ويســـــــائلونَ المـوجَ و الأطوادَا

مـن أىِّ وادٍ .. مـــوجـــةٌ هتــفَتْ به

ومضـى ، فـحـمَّلَهـا السـلامَ ، وعـادَا

لو أنصفوا قَدَرُوا بطولةَ فارسٍ

لبلادِهِ بدَمِ الحُشاشةِ جادَا

نادَى بأحرارِ الرجالِ فقرَّبوا

مُهَجاً تموتُ وراءَه استشهادا

يدعو لحقٍّ أو لإنسانيَّةٍ

تأبى السجونَ وتَلْعَنُ الأصفادَا

شيخَ الفوارسِ حَسْبُ عَيْنِك أن ترى

هذى الفتوحَ وهذهِ الأمجادَا

« الرِّيفُ » هَبَّ منازلاً وقبائلاً

يدعو فتاهُ الباسلَ الذَّوَّادَا

حَنَّ الحُسامُ لقَبضَتَيْكَ ، وحَمْحمتْ

خيلٌ تُقَرِّبُ من يديكَ قِيادا

وعلى الصَّحارَى من صدَاكَ مَلاحِمٌ

تُشْجِي النُّسورَ وتُطْرِبُ الآسادَا

أوْحَتْ إلى العُرْبِ الحُداءَ ، وألهمتْ

فُرسانهمْ تحت الوغى الإنشادا

عبدَ الكريمِ انظُرْ حيالكَ هل ترى

إلا صراعاً قائماً وجهادا

الشـــرقُ أجْمَعـــهُ لواءٌ واحـــدٌ

نَظَ مَ الصــفــوفَ وهيَّأ القُوَّادا

لم يتركِ السيفُ الجوابَ لسائلٍ

أو يَنْسَ من مُتَرَقِّبٍ مــيــعــادا

سالتْ حلوقُ الهاتفينَ دماً ، وما

هزُّوا لطاغيـةِ الشعوبِ وِسادَا

فــصُغِ البيــانَ بهِ ، وأنْطِقْ حَدَّهُ

يَسْمَعْ إليكَ ، مُكَرَّراً ومُعــادَا

كَذَبَتْ مــودَّاتُ الشِّفــاه ولم أجــدْ

رغمَ العــداوةِ كـالسـيـوفِ وِدادا

١٢ - الأمسية الحزينة

عند برزخ بين بحيرة المنزلة

وشاطئ البحر المتوسط

جـدَّدتِ ذاهبَ أحـلامى وليـلاتى

فَهَلْ لديكِ حديثٌ عن صباباتى ؟

يا كعبةً لخيالاتى ، وصومعةً

رتَّلتُ فى ظلِّها للحسنِ آياتى

للحُبِّ أولُ أشعارٍ هتفتُ بها ،

وللجمالِ بها أولى رسالاتى

عليكَ وادىَ أحلامى وقفتُ أرى

طيفَ الحوادثِ تمضى بعد مأساةِ

آوى إلى جَنَبَاتِ الصخرِ منفردا

أبكى لأمسيةٍ مرَّت وليلاتِ

قد غيَّرتنا الليالى بَعْدَهَا سيَرا

وخلَّفتنا العوادى بعضَ أشتاتِ

تلفَّتَ القلبُ فى ليلاءَ باردةٍ

يبكى لياليكَ الغُرَّ المضيئاتِ

وذكـــريـاتٍ من المـاضـى يُطالـعُهـــا

بينَ الـحـقـولِ وشُطآنِ البـحـيـرات

* * *

يا طولَ مـــا نَغَّمَتْ للصَّخـــرِ أناتى

وشـــدَّ مـــا رجَّعتْ للمـــوجِ آهاتى

يا قلبُ ، وادى الصِّبا حالتْ مسارِحُهُ

وأقـفـرتْ من صـبـاياهُ الجـمـيـلاتِ

فـلا الجـداولُ تحـدوهـا مـسلسلةً

ولا الخـمـائلُ تهـفـو بـالنضـيـراتِ

صَوَّحنَ من مـشـرقِ الوادى لمغربِهِ

فـــمـــا بهنَّ مُطيفٌ من خـــيـــالاتِ

مـا فـى حيـاتِكَ من سلوى تلوذُ بـهـا

لكنهُ الحبُّ ذاكَ القـــاهرُ الـعـــاتى

قـد فـاجـأتْكَ غـواشيـِه التى سـكنتْ

إنَّ الليـــالـىَ مـــلأى بـالفُجـــاءاتِ

* * *

يا لَلْبُحـيـرةِ : من يرتـادُ شـاطئَـهَا

ومن يُسِرُّ إلى الوادى مناجـــاتى ؟

ومن يعــيـدُ لنا أطيــافَ ليلتــهــا

وما غَنِمْنَا عليــهــا من أويقــاتِ

وخلوةٍ في حَفَافــيــهــا وقــد عَبَثَتْ

يَدُ الصَّبــا بحــواشــيــهــا الموشَّاةِ

يضـمُّنا باسقٌ ، في الشطِّ ، منفردٌ

ضَمَّ الشَّتــيــتَيْنِ في علياءِ جناتِ

وللقلوبِ أحـــاديثٌ يجـــاوبُهَا

تناوحُ الطيــرِ في ظلِّ الخـمــيلاتِ

* * *

يا ليلةً قــد ذهلنا عن كــواكــبــهــا

في زورقٍ بين ضـــفَّاتٍ ولجَّاتِ

يسرى بنا مَوهِناً ، والريحُ تدفعهُ ،

كــالنجمِ يســبحُ في علويِّ هالاتِ

وفي الشــواطىءِ للمـجـدافِ أغنيةٌ

يَصُبُّها الموجُ في سـحريِّ موجاتِ

مــا كــانَ أهنأها دنيــا ، وأهنأنا

في ليلِها الصَّحْوِ، أوفي فجرها الشاتي

مَرَّت خيالاتُ ماضيها ، وما تَرَكَتْ

سوى وجومِ لياليها الحزيناتِ

ومن تَلَهُّفِ أحنائى وشارتِهَا

يا لَلْجَوَانحِ من وَجْدى وثاراتى

ياصرخةَ القلبِ ، هل اسمعتِ منك صَدَىً

مَنْ ذا يردُّ الصَّدى فى جوفِ موماةِ ؟

جوبى مفاوزَ أيامى فقد صَفِرَتْ

من نبعِ ماءٍ ، ومن أظلالِ واحاتِ

قضى ، على ظمأ ، قلبى بها وفمى

وضلَّتِ العينُ فيها إِثرَ غاياتى

حتى العواصفُ صمَّتْ عن نداءاتى

فما تردُّ على الأيامِ صيحاتى

* * *

يا من قتلتَ شبابى فى يفاعَتِهِ

ورحتَ تسخرُ مِنْ دمعى وأناتى

حرمتَ أيامىَ الأولى مفارحَها

فما نعمتُ بأوطارى ولذَّاتى

فَدَعْ فؤادىَ محزوناً يرفُّ على

ماضى ليالىَّ ، وانعمْ ، أنتَ ، بالآتى

دَعْنى على صخرةِ الماضى لعلَّ بها

مِنَ الصبابةِ والتحنانِ منجاتى !

✍ ✍ ✍

١٣ – إلى الطبيعة المصرية

لِمَ أنتِ ، أيتُّها الطبيعةُ ، كالحزينةِ فى بلادى ؟
لولا أغـــاريدُ ترسلُ بينَ شـــاديةٍ وشـــادى
وخـيــالُ ثَوْرٍ حـولَ سـاقـيـهِ يُراوحُ أو يُغـادى
وقطيعُ ضأنٍ فى المروجِ الخضرِ يُضربُ بالهوادى
لحـسـبتُ أنكِ جَنَّةٌ مـهـجـورةٌ من عـهـدِ عـادِ
هجـروكِ ، لا كنتِ العـقـيمَ ولَستِ مُنْجِبَةَ القَتـادِ
عـجـبـاً ومـاؤكِ دافقٌ ونجـومُ أرضكِ فى اتِّقـادِ
لو كنتِ فى الغـربِ الصنَّاعِ لكنتِ قبلةَ كلِّ هادى
وافـتنَّ فـيكِ الفنُّ بالروحِ المُحـرِّكِ للجـمـادِ
وتفـجَّرَ المَرحُ الحـبـيسُ بكلُّ ناحـيـةٍ ووادى
ولقلتُ أبتـدرُ الشُّداةَ غـداةَ فـجـرٍ أو تنادى
هذى الروائعُ فيكِ لم تُخْلَق لغيـركِ ، يا بلادى !

✍ ✍ ✍

١٤ - على النيل

من ابن الشمال إلى ابن الجنوب

أخى ! إنْ وردتَ النِّيلَ قبلَ ورودى

فحىِّ ذِمامى عِنْدَهُ و عُهُودى

وَقَبِّلْ ثرىً فيه امتزجنا أُبُوَّةً

وَنُسْلِمُهُ لابنٍ لنا وحفيدِ

أخى ! إنْ أذانَ الفجرِ لَبَّيتَ صوتَهُ

سَمِعْتَ لتكبيرى ووقْعِ سجودى

وما صُغْتَ قولاً أو هتفتَ بآيةٍ

خَلا مَنطقى من لَفْظِهَا وقصيدى

أخى ! إنْ حواكَ الصبحُ ريَّانَ مشرقاً

أفَقْتُ على يومٍ أغرَّ سعيدِ

أخى ! إنْ طواكَ الليلُ سهمانَ سادرا

نَبا فيه جنبى واستحالَ رقودى

أخى ! إنْ شربتَ الماءَ صفواً فقد زكتْ

خمائلُ جنَّاتى وطابَ حصيدى

أخى ! إنْ جفاكَ النهرُ أو جفَّ نبعُهُ

مشى الموتُ فى زهرى وقصَّفَ عودى

فكيفَ تُلاحـينى وألحـاكَ ؟ إننى
شهيدكَ فى هذا .. وأنتَ شهيدى !
حيـاتُكَ فى الوادى حياتى ، فـإنما
وُجـودُكَ فى هذى الحـيـاةِ وجـودى

* * *

أخى ! إنْ نزلْتَ الشـاطِئَيْن فَسَلْهما
مَتى فَضَلا مـــا بيننا بحــدودِ ؟
رَمـــانى نَذيرُ السُّوءِ فـــيكَ بِنَبْأةٍ
فَجَلَّلَ بـالأحـــزانِ ليلةَ عـــيـــدى
وغـامتْ سـمـائى بعدَ صَفْوٍ وأُخْرِسَتْ
مــزَاهرُ أحـلامى ومـاتَ نشـيـدى
غــداةَ تَمنَّى المســتـــبــدُّ فِراقنا
علـى أرضِ آبـاءٍ لـنـا وجــــــدودِ
وزفَّ لـنا زَيْفَ الأمـــــانى عُلالـةً
لـعلَّ بنـا حُبَّ الســـيـــادةِ يُودى
أُخــوَّتُنا فـــوقَ الذى مـــانَ وادَّعى
ومـــا بيننا من سيِّـدٍ ومــســودِ
إذا قـالَ «الاستقلالُ» فـاحْذَرْهُ ناصباً
فِخـاخَ «احـتـلالٍ» كـالدهورِ أبيـدِ

وكم قَبْلُ منّانى ، على وَفْرِ ما جَنَى

بِحَرْبَيْنِ ، من زرعى وضَرْعِ وليدى

فلمـــا أتاهُ النصــرُ هاجَتْهُ شِرَّةٌ

فــــهمٌ بنكرانى ورامَ جُحُودى

ألا سَلْهُ ، ماذا بَعْدَ سبعينَ حجّةً

أأنجـزَ من وَعْدٍ ؟ أفكَّ قــيـودى ؟

✍ ✍ ✍

١٥ - القبَّرة

عن الشاعر الانجليزى شلى

يا أيهـا الرُّوحُ يهـفـو حَوْلَهُ الفَرَحُ

تحـيَّةٌ ، أيُّهـــذا الصـــادحُ المَرِحُ

من أمَّةِ الطَّيرِ هذا اللحنُ ما سمِعتْ

بمـثلـه الأرضُ ، لا روضٌ ولا صَدَحُ

أنت الذى من سـمـاءِ الرُّوحِ منهلُهُ

خـــمـــرٌ إلهـــيـــةٌ لم تَحْوِهَا قَدَحُ

يفـيضُ قلبُك ألحــاناً يُسلسِلُها

فنٌّ طليقٌ من الوجـدانِ منسـرِحُ !

* * *

وعـاليـاً ، عـاليـاً ، لا زلتَ منطلقـاً

عن الثـرى ، تصِلُ الآفـاقَ آمـادا

مـثلَ السـحـابةِ ، من نارٍ ، مُسَعَّرَةً ،

والبــرقِ مــؤتلقـــاً ، والنَّجمِ وقَّادا

يهـفو جَنَاحـاكَ فى أعـماقِ زُرْقَتِها

وأنتَ تَضْرِبُ فـى الآفــــاقِ مُرتاداً

تشـدو فَتُمْعِنُ فى أجـوازِهَا صُعُدا

فـإِنْ عَلَوْتَ بهـا أَمْعَنْتَ إنشـادا

* * *

ومـائجٍ ذَهبىٍّ النُّورِ قـد غـرقتْ

فى ذَوْبهِ الشمسُ عَبْرَ العالمِ الثانى

تُوَهِّجُ السُّحبَ البـيـضـاءَ حُمـرتُه

فَتَسْتَحـيلُ عليـهـا ذاتَ ألوانِ

أشـعـةٌ ذاتُ أمـواجٍ غَدَوْتَ بهـا

تطفـو وترسبُ فى لُجـيِّهـا القـانى

كـأنما أنت - جـذلاناً تـراوحنا -

روحٌ مـن الـطَرب الـعلوىِّ نـورانـى

* * *

تذوبُ حـولكَ إمَّا طِرْتَ فـى أفُقٍ

غلالةُ الأرجوانِ الشاحبِ الساجى

كنجـمـةٍ فى سـمـاءِ اللّيلِ خـافـقـةٍ

تـذوبُ فـى فَلَقٍ لـلـصـبـحِ وهَّاجِ

يـا من تُطـرِّبنى الحـانُ غِبْطَتِهِ

ومـا رأيتُ لَهُ طيـفـاً بمعـراجِ

ألاَّ أراكَ فــإنى ســامعٌ نغــمــاً

يهــفــو إلىَّ بإطرابٍ وإبهــاجِ

* * *

وصاعداً فى مضاءِ السهمِ أرسلَهُ

قوسٌ من الكَوْكبِ الفضىِّ منزعهُ

ينأى فيخبو رويداً وهْجُ شُعْلَتهِ

حتى يُلاشَى كأنَّ الفجرَ يتبعهُ

ونرسلُ العينَ نرعاهُ هنا وهنا

وما يبينُ لنا من أيْنَ مطلعهُ

حتى إذا عزَّنا المرأى وأجهدنا

دلَّ الشعورُ على أنْ ذاكَ موضعهُ ! !

* * *

هذى السماءُ بموسيقاكَ مائجةٌ

والأرضُ يغمُرُها من صوتكَ الطَرَبُ

وصفحةُ الليلِ أصفى ما يكونُ سوى

غمامةٍ خلَّفَتها وَحْدَهَا السُّحُبُ

وقد بدا القَمَرُ الوضَّاحُ يُمطرها

إرسالَ ضوءٍ على الآفاقِ يَنْسَكِبُ

يرمى السموات سيلٌ من أشعَّتِها

تكادُ تسبحُ فى طوفانِهِ الشُّهُبُ

* * *

من أنتَ ، يا من يجوبُ اللَّيلَ منفرداً

ولم تقعْ لى عليهِ بَعْدُ عينانِ ؟

أىُّ الخليقةِ قل لى أنتَ تشبهُهُ

وأيها منكَ فى أوصافِهِ دانى ؟

وهذه السُّحْبُ أصباغاً مُشَكَّلَةً

فى رائعٍ من فَريدِ اللَّونِ فتَّانِ

لا ينزلُ الغيثُ منها مثلما نزلتْ

شتَّى أغانيكَ فى سحرىِّ ألحانِ !

* * *

كشاعرٍ فى سماءِ الفكرِ مُختبئٍ

دلَّ الوجودَ عليه لحنُه العالى

ألحانُ أغنيةٍ أمسى يُرتِّلها

كمرسلٍ من نشيدِ الخُلْدِ سيَّالِ

أسلْنَ بالعالمِ السالى خوالجَهُ

حتى استحالَ شجوناً قلبُه الخالى

بعَثنَ من الم فيـــــهِ ومن أمَلٍ

مــا لم يكنْ منهُ فى يومٍ على بالِ

* * *

كــأنَّ حــوريةً فى ظلِّ شــاهقــةٍ

من البروجِ تقضِّى العيشَ فى خَلَسِ

لم يُغمضِ النومُ عينيها ولا خمدَتْ

نيـرانُ قلبٍ لهــا فى فَحْمَةِ الغَلَسِ

باتتْ تلطِّف الامـــاً تســـاورُها

فى عـزلةٍ بنشيـدٍ سـاحرِ الجرسِ

تطوفُ الحـانُ موسيقـاهُ مـخدعـها

كـأنهُ الحبُّ فى إيقـاعـهِ السلِسِ

* * *

كـأنَّ بين الربُّا التـفَّتْ خـمـائلُهـا

فـراشـةٌ من سـبـيكِ التِّبـرِ جلَواءُ

يا حـسنَ اجنحـةٍ منهـا مـذهبـةٍ

قـد رقَّشـتـهـا مِنَ الأسـحـارِ أنداءُ

تُرِى السماءَ صفاءً فهى إنْ خطرتْ

فللســمــاءِ بهــذا اللّونِ إغــراءُ

تجلو الأزاهرَ والأعشابَ طلعتُها

إذا بدتْ ولها فيهنَّ إخفاءُ

* * *

كزهرةِ الحقلِ فى غَيْناءِ سُرْحتِها

لم يملأِ النورُ منْ أجفانِها حَدَقا

حتى إذا لَفَحَتْها الريحُ هاجرةً

زكتْ واربتْ على أملودِهَا ورْقا

وأرَّجَ الحقلَ من أنفاسِها عبقٌ

يشوقُ كلَّ جناحٍ نحوها خَفَقَا

تهفو إليها من الأنسامِ أجنحةٌ

منْ كلِّ مُنطلقٍ من عطرِهَا سَرَقا

* * *

ووقعُ لحنكَ فى الأسحارِ أرخمُ من

وقعِ النَّدَى فوقَ أعشابِ البساتينِ

قد نقَّط الزَّهَرَ المنضورَ سلسلهُ

وجادَ بالطلِّ أفوافَ الرياحينِ

يا منْ على صوتهِ فى الأفْقِ منسجماً

تصحو الأزاهرُ فى أفنانِها الغينِ

كلُّ البدائعِ مهما افتنَّ مبدعُها
لم تَعْدُ لحنَكَ فى صَوْغٍ وتلحينِ

* * *

قل لى : أمن مَلَكُوتِ الرُّوحِ منطلقٌ
أم طائرٌ أنتَ فى الآفاقِ هيمانُ ؟
أىُّ الخواطرِ من حُسْنٍ ومن بَهَجٍ
يُشيعها منكَ فى الأرواحِ وجدانُ ؟
لم تشرئبَّ قلوبٌ من أضالعها
لغيرِ صَوْتِكَ أو تنصبَّ آذانُ
حديثُ حبٍّ وخمرٍ باتَ يسكبُهُ
من جانبِ اللّهِ أنغامٌ وألحانُ !

* * *

من أينَ تلك الأغانى أنتَ تُرسلُهَا ؟
من أىِّ مطَّرِدِ الينبوعِ مُنَسجِمِ ؟
من أىِّ ثائرةِ الأمواجِ زاخرةٍ ؟
أىِّ السهولةِ والأغوارِ والقِمَمِ ؟
وأىِّ حبٍّ أليفٍ مِنكَ أو وطنٍ ؟
وأىِّ جهلٍ لما نلقاهُ من ألمِ ؟

* * *

وفى منامِكَ والآفــــاقُ حـــالمةٌ

وفى انتـبـاهكَ والظلمـاءُ إصـغـاءُ

لابدَّ من نبـــأ للمـــوتِ تعـــرفـــهُ

وفى فـــؤادكَ عنهُ اليـــومَ أشـــيـــاءُ

لأنْتَ أعــمقُ فكراً فى حـــقـــائقـــهِ

مما نراهُ ونحنُ اليـــومَ أحـــيـــاءُ

أو لا ! فكيفَ انســجامُ اللَّحنِ مطَّرداً

يُجـــريـــهِ من رائقِ البِلَّورِ لألاءُ ! ؟

* * *

إنــا نـفـكِّرُ فـى مـــــــاضٍ بـلا أثرٍ

ومُقـــبلٍ من حـــيـــاةٍ كلهـــا غـــيبُ

ومــــســـــتـــحلٍ نرجِّى برقَ ديمَتِهِ

وكلُّ مـــا نرتجـــيـــهِ منهُ مـــخـــتلبُ

وكم لنا ضـــحكاتٌ غـــيـــرُ صـــادقـــةٍ

ما لم يشبْ صفوَها التبريحُ والوصَبُ

وإنَّ أشـهى الأغـانى فى مسامِعِنَا

ما سالَ وهو حزينُ اللحنِ ، مكتئبُ !

* * *

هَبْنَا على رَغْمِ هذا ليسَ يَجمعُنَا

بالحقدِ أو كبرياءِ النَفْسِ أوهاقُ

فلا القلوبُ لدى البأساءِ جازعةٌ

ولا بهنَّ إذا رُوِّعنَ إشفاقُ

وإننا قد دَرَجْنا فى خَليقتِنَا

بلا دموعٍ تذرِّيهنَّ آماقُ

فكيفَ كنا إذاً نلقاكَ فى فرحٍ !

أو يغمرِ الروحَ لحنٌ منه رَقْراقُ ! ؟

* * *

يا أعذبَ الطيرِ موسيقى وأروعَهَا

من كلِّ رائقِ أنغامٍ وألحانِ

ويا أعزَّ لنا من كلِّ ما جمعتْ

نفائسُ الكُتْبِ من دُرىً تبيانِ

يا ما أحقَّ اقتدارا منكَ قدرتهُ

بشاعرٍ لَبِقِ التصويرِ فنَّانِ

أنتَ المبرأُ فى حُبٍّ وعاطفةٍ

يا من تعاليتَ عن أرضٍ وإنسانِ

* * *

أمـــــا تُعلِّمنى مما يفـــــيضُ بهِ

غناؤكَ الـعَذْبُ تطراباً وتحـنانـا !

ذاكَ الحنونُ الذى يُهـدى توافـقـهُ

إلىَّ من صَدَحَاتِ الخلدِ ألحـانـا !

ألستَ تُلهـمنى وحـيـاً يفـيضُ به

فـمى ، فَأملأُ قلبَ الكونِ إيمـانـا !

أشـدو فـيُلقـى إلىَّ الكونُ مِسـمـعـهُ

يُصـغى إلىَّ كما أصـغى لَكَ الآنا !

✍ ✍ ✍

١٦ – الملاّح التّائه

أيهـــا الملاّحُ قمْ واطوِ الشّراعـــا

لِمَ نطوى لُجّةَ اللّيلِ سِرَاعـــــا

جَدِّفِ الآنَ بـنـــا فـــى هِيـنـــةٍ

وجهـةَ الشاطىءِ سيـراً واتّباعـا

فَغَداً ، يا صـــاحـــبى ، تأخُذُنا

مـوجـةُ الأيّام قـذفـاً واندفـاعـا

عَبَثـاً تقـفـو خُطى الماضى الذى

خِلْتَ أنّ البـحـرَ واراهُ ابتـلاعـا

لم يكنْ غـيـرَ أويقـــاتِ هوىً

وقـفتْ عن دوْرَةِ الدهرِ انقطاعـا

فـتَمَهَّلْ ، تسـعـدِ الرُّوحُ بما

وهِمَتْ ، أو تطربِ النفسُ سماعـا

وَدَعِ الليلةَ تمضى ، إنهـــا

لم تكنْ أولَ مـــا ولّى وَضَاعـــا

سـوفَ يبـدو الفـجـرُ فى آثارها

ثمَّ يمـضـى ، وَدَوَاليكَ تِبَاعـــا

هذهِ الأرضُ انتشتْ مما بها
فَغَفَتْ تحلُم بالخلدِ خداعا
قد طَوَاها الليلُ حتى أوشكتْ
من عميقِ الصمْتِ فيه أنْ تُراعا
إنَّهُ الصمتُ الذى فى طيِّه
أسفرَ المجهولُ ، والمستورُ ذاعا
سَمِعَتْ فيه هُتافَ المنتهَى
من وراءِ الغيبِ يُقريها الوَدَاعا
أيها الأحياءُ ، غنُّوا واطرَبوا
وانهبوا من غَفَلاتِ الدَّهرِ ساعا

* * *

آهِ ، ما أروعَها من ليلةٍ
فاضَ فى أرجائها السحرُ ، وشاعا
نَفَخَ الحبُّ بها من روحِهِ
ورَمَى عن سِرِّها الخافى القناعا
وَجَلا من صُوَرِ الحُسْنِ لنا
عبقرياً لَبِقَ الفنِّ صَنَاعا
نفحاتٌ رَقَصَ البحرُ لها
وهفَا النجمُ خُفوقاً والتماعا

وسـرى من جـانبِ الأرضِ صـدىً

حَرَّكَ الـعُشْبَ حـنـانـاً والـيَرَاعــــا

بَعَثَ الأحــلامَ من هـجــعــتِهــا

كـســرايا الـطَّيْرِ نُفَّرْنَ ارتيــاعــا

قُمْنَ بالشــاطـئِ من وادى الـهــوى

بنشــيـدِ الحبَّ يهــتـفنَ ابتــداعـا

أيهــا الـهــاجــرُ عــزَّ المُلتــقى

وأذبتَ القلب صـــدا وامــتـنـاعـــا

أدركِ الـتــائهَ فى بـحـــرِ الـهــوى

قَبْلَ أنْ يقـــتـلَهُ الموجُ صِراعــــا

وارعَ فـى الدنيــا طريداً شـــارداً

عنهُ ضـاقتْ رقـعةُ الأرضِ اتساعـا

ضـلَّ فــى الـلـيـل سُراهُ ، ومَضَى

لا يَرى فـى أفُقٍ مـنـه شُعَاعــــــا

يجـــتـــوى الـلافِحَ من حَرْقـــتهِ

وعــذابٍ يُشــعلُ الرُّوحَ الـتــيــاعـا

والأسـى الـخـــالدَ من مـــاضٍ عَفَا

والـهــوى الـثــائرَ فى قـلـبٍ تداعى

فـــاجـعلِ البـــحـــرَ أمـــانـاً حـــولَهُ

واملأِ السـهلَ سـلامـاً واليَفَاعـا[1]

وامـــــسـحِ الآنَ عـلـى آلامـــــهِ

بيـدِ الرفقِ التى تمحـو الدَّمـاعـا[2]

وَقُدِ الـــفُلْـــكَ إلـــى بَرِّ الــرِّضـــى

وانشُرِ الحبَّ على الفُلْكِ شِراعـــا

✍ ✍ ✍

---

(١) اليفاع : ما ارتفع من الأرض .

(٢) الدَّمَّاع : كثير الدمع .

١٧ - راكبة الدّراجة

تمَهّلى فراشةَ الصّباحِ

أسْرَفْتِ فى الغُدوِّ والرّوْاحِ

ماذا ارتيادُ الطُّرُقِ الفِساحِ

والوثبُ فوقَ العُشْبِ والصفّاحِ

بين الرّوابى الخُضْرِ والبطاحِ

بالشّعَرِ المهدّلِ السبّاحِ

كالموجِ تحتَ العاصفِ المجتاحِ

والنهدِ وهو مُطْلَقُ السراحِ

يخفقُ بين الصدرِ والوشاحِ

والساقُ خَلْفَ الساقِ فى كفاحِ

فى حَلْقَةٍ طاغيةِ الجماحِ

تدورُ مثلُ البارقِ اللمّاحِ

تودُّ لو طارتْ مع الرياحِ

وحلَّقَتْ فى كبدِ الصرّاحِ

بلطفِ هذا الجسدِ المراحِ

وخِفَّةٍ فى روحكِ الصداحِ

تكادُ تُغْنِى الطيـــرَ عن جَنَاحِ !

يا لـهَواءٍ عــابثٍ مــفــراحِ

سكرانَ ، لا من خــمــرةِ الأقــداحِ

بَلْ من صبِــاكِ ، والصِّبـا كــالرَّاحِ

يرفـعُ طرفَ الثــوبَ فـى مـــزاحِ

لا يَسْتَحـــى مــن لائـــمٍ ولاحـــى

✍ ✍ ✍

١٨ - على حاجز السفينة

- حَنَتْ على حاجزِ السفينة
  ترنو إلى الرَّغْوِ والزَّبَدْ
- كأنها الفتنةُ السجينة
  تمضى بها لُجَّةُ الأبدْ
- نَبَتْ بها ضَجَّةُ المكانِ
  يزَينها الصَّمْتُ والجلالُ
- والبحرُ من حولها أغانى
  والسُّحْبُ والريحُ والجبالُ
- ساحرةٌ وحدها تُطِلُّ
  بِملْتَقَى النورِ والظلامِ
- لا تسأمُ الصَّمْتَ أو تَمَلُّ
  تَهامُسَ الشُّهْبِ والغمامِ
- تُصْغِى إلى الموجِ والرياحِ
  فى مَعْزِلٍ شاقَ كلَّ عَينْ
- كأنها نجمةُ الصباحِ
  مُطِلَّةٌ من سحابتينْ

● هفهافةُ الثوبِ فى بياضٍ

يكادُ عن روحهـا يشفُّ

● لأىِّ ذكرى وأىِّ ماضٍ

يَسْرى بها خاطرٌ ويَهفو ؟

● وما وراءَ العُباب تَبْغِى

وأىُّ سرٍّ لها تبدَّى

● وأىُّ لحن إليه تُصغى

بروحها الحالمِ استبدًّا ؟

● عجبتُ للبحرِ ما عَرَاهُ

يودُّ لو مسَّ ناظريها

● يتاخمُ النَّجمَ فى علاهُ

ويَنثنى جاثياً لديها

● وهائمٍ فى الفضاءِ صَبٍّ

مُجنَّحٍ لا يَبِينُ طيفا

● كم ودَّ لو - من ضَنَى وحُبٍّ

هَوَى على صدرها وأغفى

● كم بثَّ من أنَّةٍ و ألْقَى

بهمْسةٍ ضائعٌ صداها

- ياوَيحهُ لا يَحيرُ نُطقا

فكيفَ تُلْقِى له انتباها ؟

- أنفاسُهُ عن جَواهُ تُغْنِى

عليلةٌ خفْقُها اضطرابُ

- كآهةٍ فى فَمِ المُغَنِّى

جريحةٍ لَحنُها العذابُ

- يدنو ، ويرتدُّ فى حياءِ

يُجاذبُ الثوبَ والشَّعَرْ

- وكلما كلَّ من عياءِ

أثارهُ الوجدُ فاستعَر

- يضمُّها راعشاً ، ويمضى

مُباعداً ، وهو ما ابتعدْ

- كأنَّهُ بالحنينِ يقضى

لُبانةَ الرُّوحِ و الجَسدْ

- والقمرُ الطالعُ الصغيرُ

أزاحَ عن وجهِهِ السَّحابا

- وقد جرى ضوءه الغريرُ

يستشرفُ الأفقَ و العُبابا

• ألمرِحُ العــابثُ الطروبُ

لما دعــا باســمــهِ الشــروقُ

• نادتْ به مــوجــةٌ لعــوبُ

إلىَّ .. يـا أيّهـــا المشـــــوقُ

• طـالَ عـلـى المنْتَأى طُروقـى

وطالَ مـــســـراكَ فـى السَّمـــاءِ

• فَنَمْ على صــدرىَ الخـفـوقِ

واحْلُمْ بمــا شِئْتَ مــن هــنــاءِ

• وأنْسِنى وحـشــةَ الليـالى

بقُبْلةٍ منكَ ، يا حـــبـــيــــبى

• لكنَّهُ مـــرٌ لا يبـــالى

ولجَّ فى صــمــتــهِ العــجــيبِ

• مــذ أبْصَرَتْهُ انثنى ومــرًا

قــالتْ ، ومن دمــعــهــا مَسِيلُ :

• لأنتَ مــثلُ الرجــالِ طُرًّا

يا أيُّهــا الخـــائنُ الجـــمـــيلُ

• وهبــتُكَ الغضَّ من شــبـابى

سـكرانَ من خــمــرِ أمــســيــاتى

- فـأينَ تمضى على العُبـابِ
من صَوْتِ حُبّى وذكــــــرياتـى ؟
- ومن هـىَ الغـــادةُ التى
تنسلُّ من مـــخـــدعى إليـــهـــا
- أعندها مـــثلُ فـــتنتى
أم أننى أفْتَرِى عليـــــهــــا ؟
- إذهبْ إليـهـا ودعْ نمـامى
فـــديتُكَ ، اسْلَمْ على التـنائـى
- إذْبَحْ على صـدرها غـرامى
وامــلأ لهــا الكأسَ من شــقــائى
- والْهُ مع الغـيدِ والعـذارى
وغــنِّ بـــالـــكـــأسِ والـــوتـــرْ
- وانـقـعْ مـن الـغُلَّةِ الأوارا
واقـطف مـن الـلَذةِ الـثُمــــــرْ
- أبوكَ ، والطبعُ لا يحــولُ ،
وَرِثْتَهُ خِلْقـــــةً و خَلْقـــــا
- يا أيهـــا القَلْبُ الملولُ
من قــبـــضـــتى لن تنالَ عِتْقـــا

- مُطاردٌ أنتَ باشتياقى

ما جُبْتَ أرضاً وجُزْتَ بحرا

- مُقَيَّدٌ أنتَ فى وثاقى

وإنْ رأتْكَ العيونُ حُرّاً

- لأنتَ مهما كَبُرتَ طِفْلِى

يا ابنَ الهوى البكْرِ والألَمْ

- خُطاكَ مسبوقةٌ بظلّى

وإنْ تعلَّقْتَ بالقِمَمْ

- سأحفظُ العَهدَ مِنْكَ دَوْما

وأقطَعُ العمرَ فى انتظارِكْ

- وسوف تأوِى إلىَّ يوما

تبكى ، وأبْكى إلى جوارِكْ

- ضراعةٌ من عذابِ أنْثَى

مَشَتْ على المائجِ الغضوبِ !

- صغا لها الليلُ واستحثَّا

سواكنَ الريحِ للهُبوبِ

- وحدَّقتْ فى الدُّجَى نجومُ

غَيْرَى ، تغامزنَ بالخبرْ

- وغمغمتْ نجمةٌ رؤومُ
أما يرى ضوءَهُ القمرْ ! ؟
- أما يرى ذلكَ الصَّبِيَّا
يُؤَلِّبُ البحرَ والظلاما ؟
- فيا لَهُ فاتنا خَلِيًّا
يُزَوِّرُ العشقَ والغراما !
- كم ليلةٍ بعدَ ألفِ ليلهْ
لم تَرْوِها عنه شهر زادُ
- وكم عناقٍ لهُ وقُبْلهْ
فى كِذْبةٍ لفظُها مُعادُ
- فاستوعبَ الضوءُ ملءَ حسِّهْ
مفاتنَ الناسِ والطبيعة
- مُردِّداً فى قرارِ نفسِهْ
ما أبشعَ الغيرةَ الوضيعة ؟
- وارتعشَ الضوءُ ثم أضْفَى
من حولِهِ الصفوَ والسَكينَة
- وابتسمتْ نفسُهُ فألْفَى
خطاهُ فى جانبِ السفينَة

- فــراعَهُ ذلكَ الجــمــالُ

جــمــالُهــا الصّامتُ الحــزينُ

- فشـاقَهُ الشِّعرُ و الخـيـالُ

وهـزّهُ الـوجـــــــدُ والحـنـيـنُ

- فـقـالَ : يا روعـةَ المسـاءِ

وفِتنـةَ اللُّبِّ و الـبـــصـــر

- قـد آذنَ الليلُ بانقـضـاءِ

وأنتِ مـــوصـــولةُ الســـهـــر

- أيَّتُهــا المَلْكَةُ الكسـيـرةْ

أيتُهـــا الربَّةُ الخـــجـــولَة

- أيتُهـا الطفلةُ الكبـيـرة

لن تَبْرَحى عـــالَم الطفـــولَةْ !

- أعلمُ مــا تكتـمـينَ عنِّى

وإنْ تـلـثَّمْتِ بـالخــــفــــاءِ

- خـمسُ ليـالٍ وأنتِ منى

مـتـبـوعـةُ الظلِّ باشـتـهـائى

- قـد كنتُ أزْهَى بما عـرفتُ

من فِتَنِ الحـــــســـنِ والدلالِ

- لكنَّنى الليلةَ اكتشفتُ

أروعَ ما شِمْتُ من جمالِ

- عشقتُ فيكِ الهوى و ذُلَّهْ

فى زَهْوَةِ الحسنِ والشبابِ

- وذلكَ الصَّمتَ ، ما أجلَّهْ

فى عالمِ اللَّغْوِ والكِذابِ

- هاربةٌ أنتِ ، يا فتاتى

من ثورةِ الشكِّ والرِّيَبِ

- هَرَبْتِ من ضجَّةِ الحَياةِ

فكيفَ من نفسكِ الهَرَبْ ؟ !

- بها ابدئى أولاً فسلِّى

وردكِ من شوْكهِ الأثيمِ

- لا البُعْدُ يجدى و لا التسلِّى

كطعْنكِ الغدْرِ فى الصميمِ

- منيهةٌ لم يَطُلْ مَداها

تروعُ بالصَّمتِ و الشحوبِ

- لم يبلغِ الليلُ مُنتهاها

إلاَّ على روْعَةِ المغيبِ

● والتـفتَ الضـــوءُ للوداعِ

يهـــــمسُ فى رِقّةٍ و وجــــدِ

● يا ربّةَ الحسنِ لا تُراعِى

فلْتَرْعكِ الكـائنـاتُ بعـــــدى

● يا ليلُ ، يا مـوجُ ، يا رياحُ

أيتُهـــــا السُّحْبُ و الظلالُ

● أيتــهــا الغُورُ و البِطاحُ

أيتــهـا الشــهبُ و الجـبـالُ

● فى الجوِّ ، فى الماءِ ، فى الثرى

صـونى لهـا العـهـدَ والودادا

● رُدِّى على عـينها الكرى

وابْعِدِى الفِكْرَ و الســـهـــادا

● وانقـذيهـا مِنَ الجـوى

يا عـاشـقـاتى على الزَّمـانِ !

● بكلِّ مـا فـيكِ من قُوَى

وكلِّ مــــا فىَّ من حنان ! !

✍ ✍ ✍

١٩ - إنتظار

طالَ انتظارُكَ فى الظلامِ ولم تَزَلْ

عـــيناىَ ترقبُ كلَّ طيفٍ عـــابرِ

ويطيــرُ ســمــعى صــوبَ كلِّ مُرِنَّةٍ

فى الأفقِ تخــفقُ عن جَناحىْ طائرِ

وترفُّ روحى فــوقَ أنفــاسِ الرُّبا

فلعلَّهـــا نَفَسُ الحـــبـــيبِ الزائرِ

ويَخِفُّ قلبى إِثرَ كلِّ شُعـــاعـــةٍ

فى الليلِ تومضُ عن شـهـابٍ غـائرِ

فلعلَّ من لَمَحَاتِ ثغـــركَ بارقٌ

ولعلَّه وَضَحُ الجـبـينِ النـاضـرِ

ليلٌ من الأوهـامِ طالَ سُهـــادُه

بين الجوَى المضنى وهجسِ الخاطرِ

حــتى إذا هَتَفَتْ بمقــدمِكَ المُنى

وأصــخْتُ أسترعى انتباهةَ حـائرِ

وسَرَى النسيمُ من الخمائلِ و الرُّبى

نشوانَ يعبقُ من شذاكَ العاطرِ

وترنَّم الوادى بسلسلِ مـــائِهِ

وتَلَتْ حمـائمُهُ نشيدَ الصـافرِ

وأطلَّتِ الأزهارُ من ورَقــاتهــا

حيـرى تَعجَّبُ للربيعِ البـاكرِ

وَجَرَى شُعَاعُ البَدْرِ حولَكَ راقصاً

طَرِباً على المرجِ النضـيـرِ الزاهرِ

وتجلتِ الدنيــا كــأبهجِ مــا رأتْ

عـينٌ وصـوَّرها خـيالُ الشـاعـرِ

ومـضتْ تُكذِّبنى الظنونُ فـأنثنى

مُتـسـمِّعـاً دقـاتِ قلبى الثـائرِ

أقْبلْتَ بالبـسـماتِ تملأُ خـاطرى

سـحـراً وأمـلأُ من جـمالكَ ناظرى

وأظلَّنا الصـمتُ الرهيبُ ونحنُ فى

شكٍ من الدنيــا وحلمٍ ســاحـرِ

حـتى إذا حـانَ الرحـيلُ هتـفتَ بى

فـوقـفتُ واسـتَبَقَتْ خُطاكَ نواظرى

وصـرختُ بالليلِ المودِّع باكـيـاً

ويداكَ تمسكُ بى وأنتَ مـغـادرى

يا ليـــتنا لم نَصْحُ منكَ وليــتَهــا

مــا أعــجلتكَ رَحَى الزمــانِ الدائرِ

* * *

ولقـد أتتْ بعـدُ الليـالى وانقـضتْ

وكـــأننا فى الـدهـرِ لم نتـــزاورِ

بُدِّلتُ من عَطْفٍ لديكَ و رقـــةٍ

بحنينِ مـهـجـورٍ وقـسـوةِ هاجـرِ

وكــأننى مــا كنتُ إلفَكَ فى الصِّبَا

يومــاً ولا كنتَ الحـيــاةَ مـشـاطرى

ونسـيتَ أنتَ ، ومـا نسيتُ ، وإننى

لأعيشُ بالذكـرى .. لعلَّك ذاكرى !!

٢٠ - البحر والقمر

تَسـاءَلَ الماءُ فـيكِ والشَّجـرُ

من أين يا « كـانُ » هذهِ الصُّوَرُ ؟

البـحـرُ والحـورُ فـيـهِ سـابحـةٌ

رُؤًى بـهـا بـاتَ يَحْلُمُ الـقَمَرُ !

أطلَّ والـضـوءُ راقصٌ غَزِلٌ

دعـاهُ قلبٌ ، وشـاقَهُ بَصَرُ

يـهـمسُ فـيـمـا يراهُ من فِتَنٍ

آلـهـةٌ هـؤلاءِ أم بَشَرُ ؟

يقـفـزُ من لجـةٍ إلى حـجَرٍ

كـأنما مَسَّ روحَهُ الـضَّجَرُ

مـعـربداً لا يريمُ سـابحـةً

إلاّ ومنهُ بثـغـرها أثَرُ

من كلِّ حـوَّاءَ مـثلمـا خُلِقَتْ

يعـجبُ منهـا الحـرير والوَبَرُ

ألْقَتْهُ عنهـا رقـائقـاً ونَضَتْ

جـسـمـاً تَحَامَى نداءَهُ القَدَرُ

فى حــانةٍ مــا علَتْ بهــا عُمُدُ
ولا اســتــوى فى بنائهــا حَجَرُ
جُدرانهــا الماءُ ، والســمــاءُ لهــا
ســقــيــفــةٌ ، والنســائمُ السُّتُرُ
خــمَّارُها مُنْشِدٌ ، وســامــرُها
حــورٌ تلوَّى ، وفــتــيــةٌ سكروا
لم تَبْقَ فى الشطِّ منهــمــو قَدَمٌ
قد خوَّضوا فى العباب وانتثروا
وشيَّعوا العقلَ حينما شربوا
وودَّعوا القلبَ حيثما نظروا
والسابحاتُ الحسانُ حولهمو
كــأنهنَّ النجــومُ و الزَّهَرُ
يزيدُ ســيــقــانَهنَّ من بَهَجٍ
لونٌ عجيبُ الرُّواءِ مبتَكَرُ
يضيءُ ورداً وخــمــرةً وسنىً
ذوبٌ من المغــريات مُعْتَصَرُ
تغــــايــر الموجُ إذ طلعنَ به
وثارَ من حــولهنَّ يشــتَجِرُ

بـهـنَ يـلـتـفُّ مُرْتَقـىً وَيُرَى

ينشقُّ عنهنَّ فـيـه مُنْحَدَرُ

منفـتـلات قـدودُهُنَّ كـمـا

ينفـتل الغـصنُ آده الثـمـرُ

مُلَـوِّحـات بـأذْرُعٍ عَجَبٍ

تحـذرهنَّ النهـودُ و الشَّعـرُ

والضـوءُ فـوق الخُصـور منهـمـرُ

والماءُ تحت الصـدور مـسـتـعـرُ

مـازِلْنَ والبـحـر فى تَوَثُّبـهِ

يُرْغِى كـمـا راع قَلْبَهُ خطرُ

قـد جـاوز الليلُ نِصْفَهُ فـمـتى

توْمٌ فـيـه أصـدافَهـا الدُّرَرُ

فليـصـخبِ البـحـرُ ولتـئنَّ به

رمـالُه ، وليـثـرثرِ الشـجَرُ

ولتـعـصفِ الريحُ فـوق مـائجـه

ولينبـجس من غـمـامـه المَطَرُ

أقـسـمنَ لا ينتـحـين شـاطئَهُ

وإنْ تَرامَى بمـائـه الشـررُ

حـــــتى يُرَى وهو فـــــضَةٌ ذَهَبٌ

تمازجَ الليلُ فـــيــــه والسَّحَرُ !

✍ ✍ ✍

٢١ - حلم ليلة

إذَا ارتقى البدرُ صفحةَ النهرِ

وضمَّنا فيهِ زورقٌ يجرى

وداعبتْ نَسمةٌ من العِطرِ

على مُحيَّاكِ خُصْلَةَ الشَعرِ

حَسَوْتُها قبلةٌ من الجَمرِ

جُنَّ جُنونى لها وما أدرى

أىَّ معانى الفتونِ والسِّحرِ

ثغرُك أوحى بها إلى ثغرى !

حلْمُ مساءٍ أتاحهُ دهرى

غَرَّدَ فيهِ الحبيسُ فى صدرى

✍ ✍ ✍

٢٢ - إعتراف

إنْ أكُنْ قد شربتُ نَخْبَ كثيراتٍ وأترعتُ بالمدامة كأسي

وتَوَلَّعتُ بالحسانِ لأنِّي مُغْرَمٌ بالجمالِ من كلِّ جنسِ

وتَوَحَّدتُ في الهوى ثُمَّ أشركتُ على حالتيْ رجاءٍ ويأسِ

وتَبذَّلتُ في غرامي فلم أحبِسْ على لذةٍ شياطينَ رِجْسي

فبِرُوحِي أعيشُ في عالمِ الفنِّ طليقاً والطهرُ يملأُ حِسِّي

تائهاً في بحارِهِ لستُ أدري ، لِمَ أزْجي الشراعَ أو فيمَ أرْسي

ليَ قلبٌ كزهرةِ الحقلِ بيضاءَ نَمَتْها السماءُ من كلِّ قَبْسِ

هو قيثارتي عليها أغنِّي وعليها وَحْدِي أغَنِّي لنفسي

لِي إليها في خَلْوَتي همساتٌ أنْطَقَتْها بكلِّ رائعِ جَرْسِ

* * *

كم شفاهٍ بِهِنَّ من قُبُلاتي وهَجُ النَّارِ في عواصفَ خُرْسِ

ووسادٍ جَرَتْ بهِ عبراتي ضِحكُ يومي منه وإطراقُ أمسي

أيُّهذِي الخدورُ أنوارُكِ الحمراءُ كم أشْعَلَتْ لياليَ أنسي

أحرقتهنَّ ! آهِ لم يَبْقَ منهنَّ سوى ذلكَ الرَّمادِ برأسي !

✍ ✍ ✍

٢٣ – أندلسية

حسنُكِ النشوانُ والكأسُ الرويَّةُ

جدَّدا عهد شبابى فسكَرْتُ

حلُمُ أيامٍ ولَيْلاتٍ وضيَّةْ

عَبَرَتْ بى فى حياتى وعبرتُ

أنا سكرانُ وفى الكأسِ بقيَّةْ

أىُّ خمرٍ مَنْ جَنَى الخلد عصرتُ؟

آهِ ، هاتى قرِّبى الكأس إليَّهْ

واسقنيها أنتِ ، يا أندلسيَّةْ

* * *

لا تقولى أىُّ صوتٍ مُلْهِمٍ

قَادَ روحينا ، فجئنا ، والتقَيْنا

دَمُكِ المشبوبُ فيه من دمى

روحُ ماضٍ بالهوى يهفو إلينا

أخْتَ روحى ! قرِّبيها من فمى

إنْ شَرِبنا أو طربنا ما علينا

آهِ هاتيــهــا من الحــــسنِ جَنيَّة

واســقْيــهــا أنتِ ، يا أندلسـيَّة

* * *

كـــانتِ النظرةُ أولى نظرتينْ

ثُمَّ صـــارَتْ لفظةً مـــا بَيْنَنا

والهـوى يَعْجبُ مِنْ مـغـتـربَيْنْ

لم يَقُلْ أنتِ ، ولا قـــالتْ أنا

وَسَبــحْنا فــوقَ وادٍ من لُجـينْ

تَحْتَ أفقٍ من غـــمـــامٍ وسَنَى

أتملأُها سِمـــاتٍ عـــربيـــة

وأنادى أنـتِ ، يا أندلســـيـــة

* * *

صِحْتُ يا للشَّمسِ فى ظلِّ المغيبِ

تـلـثـمُ الـزَّهْرَ وأوراقَ الـشَّجَرُ

خِلْتُهــا بين مــحبٍّ وحــبـيبِ

قُبْلَةً عـــنـــدَ ودَاعٍ وَ سَفَرُ

فــانثنتْ تنظرُ للوادى العــجـيبِ

صُوَراً يَذْهَبْنَ فـــى إثْرِ صُوَر

ويسـمـعى همـسـةٌ منها شَجية

وبروحى أنتِ ، يا أنـدلسـيـة

* * *

ونـزلـنـا عِنْدَ شـطٍّ من نُضـارِ

وانتـحـينا خلوةً بعـد زحـامِ

قلتُ والليلُ بأعـقـابِ النهـارِ :

ألَكِ الليلةَ فى لحنٍ و جـامِ ؟

مـا على مـغـتـربىْ أهْلٍ ودارِ

إنْ أدارا ها هنا كـأس مـدامِ ؟

آهِ هـاتيـهـا كـخـدَّيكِ نقـيَّة

واسـقنيـهـا أنتِ ، يا أندلسـيَّة

* * *

واحـتـوتنا بَيْنَ لَحنٍ مطربِ

حـانةٌ مِثلُ أسـاطيـرِ الزَّمـانِ

صَوَّرتْ جـدرانُهـا بِالذَّهبِ

فِتَنَ العـشق وأهـواءَ الحـسـانِ

قـالتِ : اشـربْ قُلْتُ لبَّيكِ اشـربى

مِلءِ كـأسـين فـإنَّا ظامـئـانِ

خـــمـــرةٌ رومـــيـــةٌ أو بابليّهْ
إسـقـنيـهـا أنتِ ، يا أندلسـيةْ

* * *

هتــــفتْ بى ويداها فى يدى
تدفعُ الكأسَ بإغـــراءٍ وعُجْبِ
أىُّ قـــيـــثـــارٍ شـــجىٍّ غَرِدِ
خلِتُهُ ينطقُ عَنْ أســرار قلبى !
قلتُ طِفلٌ من قـــديمِ الأبدِ
يمـزُجُ الألحـانَ مِن خَمْرٍ وحُبٍّ
ملء كـــأسٍ فى يديهِ ذهبـــيَّةْ
فـاسـقنيـهـا أنتِ ، يا أندلسـيَّةْ

* * *

ومــــضى الليلُ ونادى بالرواحِ
كلُّ خــــالٍ وتعـــايا كلُّ صَبٍّ
وخـبـا المصـبـاحُ إلاَّ كـأسَ راحِ
نورُهُ مـــا بين إيمـــاضٍ ووثبِ
قـد تحـدَّى وهْجُهُ ضـوءَ الصبـاحِ
فَبَقَيْنا حـــولـهُ جَنْبـــاً لِجَنْبِ

نتســاقــاها على الفــجــرِ نديَّةٌ
وأغنّى أنــت ، يــا أنـدلـســـــــيَّةٌ

* * *

يا عــروسَ الغــربِ ، يا أندلســيَّةْ
بَعُدَتْ داركِ و الـصــــــيفُ دنـا
أينَ أحــــلامُ اللَّيـــالى القَمـــرِيَّةْ
والبــحـــيــراتُ مُطيــفــاتٌ بِنا ؟
أذكـــرى بينَ الكؤوسِ الذَّهبـــيَّةْ
حـــانةٌ ، يا ليـــتــهـــا دامَتْ لَنَا
حـين أدعـوكِ صـبـاحـاً وعـشـيَّةْ
إســقنيــهـــا أنتِ ، يا أندلســيَّةْ

✍ ✍ ✍

٢٤ - فلسفة وخيال

نُهْزَةٌ أهْدَتِ الخــــيـــالَ إلينا

ودعَتْنا لموعــدٍ فــالتــقــينا

ههنا تحتَ ظُلَّةِ الغـابةِ الشـجـرا

ءِ سِرْنا ، والفــجــرُ يحنو علينا

وقَطَفْنـا مـن زَهْرِهـا ، وانـثـنـيْنا

فَجَنَيْنا تُفَّاحــهـــا بيـــدينا

وَمَرِحْنا بهـــا ســـحـــابةَ يومٍ

وبأشــجـارها نقـشْنا اسـمـينا

* * *

ههنا يا ابنةَ البـحـيـراتِ والأوديةِ الخُضْرِ والرُّبَى والجـبـالِ

صَدَحَ الحبُّ بالنشـيـد فلبَّينا نداءَ الهـوى وصـوتَ الخـيـالِ

وَتَبِعْنا على خُطَى الفجرِ موسيقى من العُشْبِ والندَى والظلالِ

وسـمـعنا حـفيفَ أجنحةٍ تهـفو بهـا الريحُ من كـهـوفِ الليـالى

* * *

قُلْتِ لى والحـيـاءُ يَصْبُغُ خـدَّيْكِ : أنارٌ تمشى بهـا أمْ دمـاءُ ؟

ملءُ عينيكَ ، يا فتى الشرقِ ، أحلامٌ سكَارى وصـبوةٌ واشتهاءُ

وعلى ثغـرِكَ المشـوقِ ابتـسـامُ

ضَرَّجَتْهُ الأشـــواقُ والأهـواءُ

أوَ حـقـاً دُنيـاكَ زهرٌ وخـمـرٌ

وغـــوانٍ فـــواتنٌ وَ غناءُ ؟

* * *

قُلْتُ : يا فـتنةَ الصِّبا حَفِلَتْ دنيـاكِ بالحبِّ والمُنَى والأغـاني

مـا أثارتْ حـرارةَ الجَسَدِ المشتـاقِ إلاَّ مـرارةُ الحـرمـانِ

إنَّ أجـسـادنا مـعـابرُ أرواحٍ إلى كلِّ رائعٍ فـتَّانِ

أنا أهوى روحـيَّةَ العـالم المنظورِ لكنْ بالجسمِ والوجـدانِ

* * *

مـا تكونُ الحـياةُ لو أنكرَ الأحـيـاءُ فيـهـا طبائعَ الأشـيـاءِ !

أنا أهواكِ كـالفراشـةِ صـاغتـهـا زهورُ الثرى وكفُّ الضـيـاءِ

أنا أهـواكِ فِتْنَةً صـاغـهـا المثَّالُ من طينةٍ ومن إغـراءِ

أنا أهـواكِ بِدْعـةَ الخلد صِيـغَتْ من هَوَى آدمٍ ومن حـوَّاءِ

* * *

أنـا أهـواكِ مـن آثـامٍ وَطُهْرٍ

حُلْمَ إغْفـاءَتي وصَحْوَ غـرامي

أنا أهواكُ تُبْدعــينَ يقــينى من نســيجِ الظُّنونِ والأوهامِ

أنا أهواكِ دِفْءَ قلبى ويَنْبُوعَ اشــتــهــائى ، وشِرَّتى ، وعُرامِى

وحنـانـاً مُجــــسَّداً إنْ طوانـى اللـيلُ وسدَّتْ صَدْرَهُ آلامـى

* * *

يا لَلطريقِ الضــيِّقِ الصَّاعــدِ بين ربوتينْ

كــأنما خُطَّ على قَدْرِ خُطىً لعــاشــقــينْ

الشَّجَراتُ حــولهُ كــأنهـــا أهدابُ عَيْنْ

كــعــهــدِهِ بصــاحبِ الدَّارِ ظليلَ الجــانبــينْ

نَبَّأهُ الــصَّدَى المــرنُّ عــن قُدومِ زائــريــنْ

فى فــجــرِ يومٍ مــاطرٍ شَقَّ حــجــابَ ديمــتــينْ

كــأنما يَنْزِلُ منـهُ الـوحىُ حَبَّاتِ لجــيــنْ

فــانتــبــهتْ خــمــيلةٌ تهــزُّ عُشَّ طائرينْ

وشــاعَ فى الـغــابةِ هَمْسٌ من شــفــاهِ زهرتين

مَنِ الـغــريبــانِ هُنا ؟ ومــا سُراهمــا ، وأينْ ! ؟

مــاذا قــدومــهُمــا والغــيثُ مِدرارُ

لا صــاحبُ الدَّارِ طلاَّعٌ ولا الدَّارُ

هذى البـحيرةُ وَسْنَى ، حلْمُ ليلتـها

لمَّا تُفِقْ منهُ شطئــانٌ وأغـــوارُ

والأرضُ تحتَ سـحـابِ الماءِ أخيلةٌ

مما يُصــــــــوِّرُهُ عُشْبٌ ونُوَّارُ

والصبحُ فى مهدِهِ الشرقىِّ ما رُفِعَتْ

عن وَرْدِهِ من نسيجِ الغَيْمِ أستـارُ

حتَّى الجبـالُ فمـا لاحتْ لها قِمَمٌ

ولا شـدا لرُعـاة الضـأنِ مـزمـارُ

فمنْ هما القادمانِ ؟ الريحُ صاغيةٌ

لوَقْعِ خطوِهمـا والأرضُ أبصـارُ !

أعـادَ منْ زَمَنِ الأشـبـاحِ سـامـرُهُ

فـالليلُ والغـابُ أشبـاحٌ وأسْمـارُ ؟

أمِ البـحـيـرةُ جِنِّيـاتُهـا طلعتْ

فــهبَّ مـــوجٌ يناديهــا وتَيَّارُ !

أمْ راصداً كوكبٍ ضـلاً سبيلهمـا

لمَّا خَبَتْ من نجـــومِ اللَّيلِ أنوارُ

أمْ صاحبا سَفَرٍ مالَ الضنَّى بهما

حوَتْهـمـــا جَنَّةٌ للفنِّ مـــعْطارُ

أم عاشقانِ تُرَى ؟ أم زائرانِ هما ؟

وهل مَعَ الفـجـرِ عُشَّاقٌ وزوَّارُ ؟ !

وأمسكَ الغيثُ كما لو كانَ يُصغى مثلَنَا

واعتنقتْ حتى وُرَيْقاتُ الغصونِ حولَنَا

كأنما تخشى النسيمَ أو تخاف الغُصُنَا

وانبعثَ اللحنُ الشجىُّ من هنا ومن هنا

يثورُ فى إيقاعِهِ قيثارةً وأرْغُنَا

كأنَّ جِناً فى السماءِ يُشْعِلونَ الفِتنَا

كأنَّ أرباباً بها يُحاكِمونَ الزَّمَنَا

يا صاحبَ الإيقاعِ ما تعرفُ ما هجْتَ بنَا

ألفجرُ ؟ أم ثارتْ على الشمس بوارقُ السَّنى ؟

مَالَكَ قد غَنَّيتَهُ هذا النشيدَ المحزنَا

غَنَّيْتَهُ آلهةً أمْ أنتَ غنَّيْتَ لنا ؟

ما ذلكَ الصوتُ شاجى اللحنِ سَحَّارُ

يُجْرِيهِ نبعٌ من الإلهامِ زَخَّارُ

فيه تَنَفَّسُ فوقَ السُّحبِ آلهةٌ

وآدميونَ فوقَ الأرضِ ثُوَّارُ

له مذاقٌ ، له لونٌ ، له أرَجٌ

خَمْرٌ أباريقُها شتَّى وأثمارُ

أشتفُّهُ وأُنادى كلَّ ناحيةٍ

مَنِ المُغَنِّى وراءَ الغابِ ، يا دارُ ؟

السمفونيّةُ هذى ! أم صدى حُلُمٍ
كما تَجاوبُ خلفَ الليلِ أطيارُ !
أعادَ للمِعْزَفِ المهجورِ صاحبُهُ
فعربدتْ فى يديهِ منهُ أوتارُ !
أظَلُّ أصْغى وما من شُرْفةٍ فُتِحَتْ
ولا أزاحَ رِتاجَ البابِ ديَّارُ
حتى الحديقةُ لَفَّتْ كوخَ حارسها
بصمتها ، فهما نَبْتٌ وأحجارُ
تواضعتْ بجلال الفنِّ ما ارتفعتْ
مثلَ البروجِ لها فى الجوِّ أسْوارُ
تُصْغى إلى هَمَسَاتِ الريحِ شيِّقةً
كأنما همساتُ الريحِ أخبارُ !
هنيهةً ، ثمَّ سمعنا هاتفاً مردِّدَا
يقولُ : قُمْ « يا سِجْفريدُ » ، فالصَّباحُ قد بدا
عرائسُ الوادى ألَمْ تضربْ لهنَّ موعدا ؟
ماذا ! قُمِ انفضِ الكرَى ، ونَمْ كما شئتَ غدا
واخطرْ على الغابةِ منضورَ الصِّبا مُخلَّدا
خُذْ سيفكَ السحرىَّ صيغَ جوهراً وعسجدا

قـــد لَقِيَ التنِّينُ منه فى العـــشـــيَّةِ الرَّدَى

صــــوتٌ مـعَ الـريـحِ سَرَى .. ، وللسكونِ أخلدا

فــأمْسَكَتْ صــاحـبــتى يدى وحــاطتْ بى يدا

تقــولُ : لم أســمـعْ كـهـذا اللحن أو هـذا الصَّدَى

قـلـتُ : ولا بمـثلـهِ شــــادٍ علـى الـدهـرِ شَدَا

قـــد باحَ بالنَّغَمِ الموعـودِ قـيـثـارُ

فـالفـجـرُ أحـلامُ عُشَّاقٍ وأسـرارُ

صــــحــــا يُفَصِّلُ رؤياهُ ويَعْبُرُها

مـوجٌ على الشاطىء الصخرىِّ ثرثارُ

وزحـزحتْ وَرَقَ الصفصافِ حانيةً

على البُحـيـرة أعـشـابٌ وأزهارُ

تُسـائلُ الماءَ : هل غَنَّتْهُ أو عَبَـرتْ

شُهْبٌ بِه مـسـتـحـمـاتٌ وأقـمـارُ ؟

يا صاحبَ اللحنِ إنَّ الغابَ مُصْغِيةٌ

فأينَ من « سِجِفريدَ » السيفُ والغارُ ؟

مـا زالَ فوقَ ندىِّ العشبِ مضجعُهُ

وَمِنْ يديه على الأغــصــانِ آثارُ

هذا النشيدُ ، نشيدُ الحبِّ ، تَعزِفُهُ

له عــــرائسُ ، مِثْلُ الوردِ ، أبكارُ

بَعَثْتُـــهنَّ من الأنغـــام أجنحـــةً

هـزيـزهـنَّ مَعَ الأفـــــــلاكِ دوّارُ

فى صـــدرِ قـيـثـارةٍ أودعْتَهُ نَغَمـاً

مِزاجُهُ الماءُ والإعـــصـــارُ والنارُ

تُقْضِي بما شئْتَ من أسرارِ عالمها

فـــيـــهِ ليـــالٍ ، وأيامٌ ، وأقـــدارُ

حـتى الطبـيـعـةُ من ناسٍ وآلـهـةٍ

تمازجتْ فـهىَ ألحـانٌ وأشـعـارٌ !

✍ ✍ ✍

٢٥ - اللّه والشاعر

● لا تفـــزعي ، يا أرضُ ، لا تَفْرقي
مـن شَبَحٍ تحـتَ الـدُّجى عـــــابـرِ
مـــــا هـوَ إلاَّ آدمـيٌّ شـــــقِي
ســـمَّوْهُ بين النـاسِ بالـشـــاعـــرِ

● حنانَكِ الآن ، فـــلا تُنكري
ســـبـــيلَهُ في ليلكِ العـــابسِ
ولا تُضـلِّيــــــهِ ، ولا تـنْفـــــرِي
مِنْ ذلكَ المســـتــصـرخِ البـــائسِ

● مُـدِّي لعـينيـهِ الـرِّحـابَ الفِسـاح
ورقـــرقي الأضـــواءَ في جــفـنـه
وأمــسكي ، يا أرضُ ، عـصْفَ الرياحْ
والـرَّاعــــــدَ المُنـصـبَّ فـي أذنــهِ

● أنـتِ لــهُ ، يـــا أرضُ ، أمٌّ رؤوم
فـــأشْهــــدِي الكونَ علـى شِقْوَتِهْ
وردِّدي شـكـواهُ بـينَ الـنجــــــومْ
فـــهــوَ ابنُكِ الإنســـانُ فـي حَيْرتـهْ

- مــــا هوَ إلاّ صـــوتُكِ المُرْسَلُ
ورُوحُكِ المســــتـــعـــبَدُ المُرْهَقُ
قـــد آدَهُ الـدهـرُ بمـا يَحـــملُ
فـــجـــاءَ عنْ آلامـــهِ يَنطِقُ ؟

- طغَى الأسـى الدّاوي على صـــوتِهِ
يـا لـلصدَى مـن قـلـبــــهِ النّاطـقِ
مـــضـى يبثُّ الـدهـرَ في خـــفْتِهِ
شـكـايـةَ الخَلْقِ إلـى الخــــالـقِ

- حـنانكَ اللـهمَّ ، لا تـغــضـبِ
أنتَ الجــمــيلُ الصــفحِ ، جمُّ الحنانْ
مـــــا كـنـتُ فـي شـكـوايَ بـالمـذنـبِ
ومنكَ ، يـاربِّ ، أخـــذتُ الأمــانْ

- مــا أنا بالزاري ولا الحــاقــدِ
لكنني الشّاكي شـــقــــاءَ البـــشَرْ
أفنيتُ عـــمــري في الأسى الخـــالدِ
فـجـئتُ أسـتـوحـيكَ لُطْفَ القـدَرْ

- تمـرَّدتْ روحـي على هـيكلـي
وهـيكلُ الجـــسمِ كــــمـــا تعلمُ

ذاكَ الضـــعـــيفُ الرأيِ لم يفــعلِ
إلاَّ بمـا يـوحـي إليـــــــهِ الـدمُ !

- يَعـرُقُ حـدُّ السَّـيْفِ مـن لحـمـهِ
ويـحـطـمُ الصُّفـــــوانُ بـنيـــــانَهُ
ويـنـخــــرُ الجـــرثـومُ فـي عـظمـــــهِ
ومـنـهُ يُنْمـي الـقـــــبـــــرُ ديدانَهُ !

- مـــا هوَ إلاَّ كــومـــةٌ من هبـــاءْ
تمـحــقــهُ اللمـــســةُ من غَضـــبـــتِكْ
فكيفَ يثني الروحَ عـــمـــا تَشـــاءْ ؟
وكـــيـف يقـــوي ؟ وَهْيَ من قـــدرتِكْ ؟

- يا للشـــقيِّ القلب كمْ ســـامَهُ
توهُّم النـعــــمـــــةِ مـــــا لا يُطيقْ
يُريـــــدُ أنْ يُقـــــنـــــعَ أوهـــــامَهُ
بـــأنــــتَهُ ذاكَ الخـــلـــيُّ الــطـــلـــيــقُ

- هـــأنـــذا أرفـــعُ آلامـــهُ
إلـى ســــمـــــاءِ المنقـــذِ الأعظـم
أنـــا الـــذي تُرســلُ أنـغــــــامَهُ
قــــيـــــثـــــارةُ القـلـب ، ونـايُ الفـمِ

- من عبراتي صُغتُ هذا المقالْ
ومن لهيبِ الروحِ هذا القَلَمْ
ملأتُ منهُ صفحاتِ الليالْ
فَضُمِّنَتْ كلُّ معاني الألمْ

- أنا الذي قدَّسْتَ أحزانَهُ
ألشّاعرُ الباكي شقاءَ البشَرْ
فَجِّرْتَ بالرحمةِ ألحانَهُ
فاملأ بها ، ياربِّ ، قلبَ القدَرْ !

- ما الشاعرُ الفنَّانُ في كونهِ
إلاّ يدُ الرحمةِ من ربِّهِ
مُعَزِّيَ العالمِ في حزنهِ
وحاملُ الآلامِ عنْ قلبهِ

- عزاؤهُ شعرٌ بهِ أهْزَجُ
في نَغَمٍ مستعذَبٍ ساحرِ
ما يَحْزَنُ العالَمُ أو يُبهجُ
إلاّ على قيثارةِ الشاعرِ

- ياربِّ ، ما أشقيتني في الوجود
إلاّ بقلبي : ليتهُ لم يَكُنْ

فـي المـثـل الأعـلـى وحُبِّ الخـلـودْ
حـمّلتـه العبءَ الذي لم يَهُنْ

• خلقتـهُ قلباً رقيقَ الشّغافْ
يهـيمُ بالنورِ ويَهْوى الجـمـالْ
حلّتْ لَهُ الـنجـوى ولذَّ الطواف
بعـالمِ الحسنِ ودنيا الخـيـالْ

• بَعَثْتَهُ طيراً خـفـوقَ الجناحْ
عـلـى جنانٍ ذاتِ ظـلٍّ ومـاءْ
أطلقـتـهُ فـيـهـا قُبَيْلَ الصباحْ
وقلتَ : غنِّ الأرضَ لحنَ السـمـاءْ

• فـهـامَ في آفـاقـهـا الواسعَة
النُّورُ يـهـفـو حـولَهُ والنَّدَى
مُصـفّقـاً للضّحْوَةِ السـاطعَةْ
ومُنشداً مـا شـاءَ أنْ يُنشدا

• إنْ جـاءَ صـيفٌ أو تجلّى ربيعْ
حـيّاهُ منهُ عـبـقـريُّ الغِناءْ
وكم خـريفٍ في نشـيـدٍ بديعْ
تظلُّ تَرويهِ ليـالي الشـتـاءْ

● قيثارةٌ تصدرُ في فنِّها
عن عالمِ السِّحرِ ودنيا الخفاءْ
على الصَّدَى الحائرِ من لحنِها
يستيقظُ الفجرُ ويغفو المساءْ

● مَشتْ على الأمواجِ أنغامُها
والأرضُ قَيْدُ النشوةِ المسكِرة
كأنَّما ترقُص أحلامُها
في ليلةٍ شرقيةٍ مُقمرة !

● من قلبه أسلَمْتَ أوتارَها
فقلبُهُ يخفقُ في كفِّهِ
يشدو فتُملي النفسُ أسرارَها
عليه ، فهيَ اللحنُ من عزفِهِ

● ذاتَ صباحٍ طارَ لا يُمْهِلُ
والأرضُ سَكرى من عبيرِ الزهورْ
على حصاها رنَّمَ الجدولُ
وفي روابيها تُغنِّي الطيورْ

● ما كانَ يدري قبلَ أن ينظُراَ
ما خَبَأتْهُ النظرةُ العاجلة

مــــا أبدعَ الحلمَ الذي صـــورًا
لوْ لَمْ تَشُبْهُ اليـــقْظَةُ القــــاتلة !

- مــرَّ بنهــرٍ دافــقٍ سلســبيلْ
تهــفــو القــمَاري(1) حـــولَهُ شـــاديَهْ
في ضــفــتــيــهِ باســقــاتُ النخــيلْ
ترعى الشــيـــاهُ تحـــتَهـــا ثاغيَة

- فــهـــاجــتِ النظـرةُ ممــا رأى
في قلبـــهِ الســـحـــرَ وفي عـــينهِ
الكونُ يبـــدو وادعـــاً هــانئـــاً
كـــأنـهُ الفـــــردوسُ فـي أمنـهِ

- فظلَّ في التـفكيـر مسـتـغـرقـاً
من فــتنةِ الدنيـــا ومِنْ ســـحـــرِها
مـــا كـــانَ إلاّ ريثـــمـــاً حــدَّقـــا
حـــتى جلَتْ دنيـــاهُ عن ســـرِّها

- رأى بعــينيــهِ الذي لــم يــرَهْ
الذئبَ ، والشـــاةَ ، وحـــربَ البـــقـــاءَ

---

(1) القُمْرِيُّ : ضرب من الحمام حسن الصوت .

مـــا عَرَفَ القـــتلَ ولا أبصـــرهْ
ولا رأى مـن قَبْلُ لـونَ الـدمـــــاءْ !

- مــــا هى إلاَّ صـرَخَاتُ الفـزَعْ
وصـــيـــحـــةُ المقـــتــولِ والقـــاتلِ
قـــدِ انقـــضـى الأمـــرُ كـــأنْ لمْ يَقَعْ
وضــــاعَ صـــوتُ الحقِّ في البـــاطلِ

- وبعــدَ ســاعــاتٍ يُوَلِّي النهــارْ
ويقـــــبلُ الليلُ ، ومـــــا يعلمُ !!
ســـيلبثُ الســـرُّ وراءَ الســـتــارْ
ويخـــتـــفي الشـــلْوُ ويُمـــحي الدمُ !!

- يا أرضُ ، ولَّى عـــهـــدُ نوحٍ وزالْ
فَمَنْ لكِ اليـــــومَ بطوفــــــانه ؟
مـــسكينةٌ تطوينَ بحـــرَ الليـــالْ
قـــد عـــزَّكِ المرسى بشطئـــانه !

- إلامَ تطوينَ عُبـــابَ السنينْ
شــوقـــاً إلى فـــردوسكِ الضـــائعِ ؟
غُرِّرتِ ، يـــا أرضُ بمـــا تحـلـمـــينْ
فـــاســتـــيـقظي من حلمكِ الخـادعِ !!

● وابقي كما أنتِ على موجِهِ
تُمَزقُ الأنواءُ منكِ الشراعْ
يقذفُكِ التيار في لجُهِ
عشواءَ لا يهديكِ فيهِ شُعاعْ

● سلي القداساتِ وأربابَها
ضراعةٍ تصغى إليها السماءْ
أو فاطرقي بالبثِّ أبوابها
لعلَّها ترفعُ عنكِ الشقاءْ !

● يا أيها الغادونَ والرائحونْ
في شُعَبِ الأرض وليلِ الهمومْ
تُمسونَ أشتاتاً كما تصبحونْ
والشمسُ حيْري فوقَكم والنجوم !

● فابتهلي للهِ ، واستغفري
وكفِّرى عنكِ بنارِ الألمْ
وقدِّمي التوبةَ ، واستمطري
بين يَديْه عَبَراتِ النَّدَمْ !!

✍ ✍ ✍

المحتويات

القصيدة	صفحة
١ – فلسطين	١١
٢ – مصر	١٣
٣ – الجندول	١٥
٤ – ليالى كليوبترة	١٩
٥ – العام الهجرى الجديد	٢٣
٦ – البحيرة	٢٧
٧ – قبر شاعر	٣٦
٨ – شاعر مصر	٤٢
٩ – شوقى	٤٨
١٠ – سورية وعيد الجلاء	٥٣
١١ – بطل الريف : عبد الكريم الخطابى	٥٥
١٢ – الأمسية الحزينة	٦١
١٣ – الطبيعة المصرية	٦٦
١٤ – على النيل	٦٧
١٥ – القبرة	٧٠
١٦ – الملاح التائه	٨٠

القصيدة	صفحة
١٧ – راكبة الدراجة	٨٤
١٨ – على حاجز السفينة	٨٦
١٩ – انتظار	٩٦
٢٠ – البحر والقمر	٩٩
٢١ – حلم ليلة	١٠٣
٢٢ – اعتراف	١٠٤
٢٣ – أندلسية	١٠٥
٢٤ – فلسفة وخيال	١١٠
٢٥ – الله والشاعر	١١٨

رقم الإيداع ٥٧٤٩ / ٩٦

I. S. B. N 977-01-4811-3



مكتبة الأسرة



بسعر رمزى جنيه واحد
بمناسبة

مهرجان القراءة للجميع ١٩٩٦



مطابع
الهيئة المصرية العامة للكتاب

